الرؤية الإسلامية

الدكتور عماد الدين خليل
الرؤية الإسلامية
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

تختلف نظرة الأنساني في الحياة باختلاف تصور كل منهم فمن الناس من يرى أن الحياة مادة ومنهم من يراها ثلثاً روحية والمسلمون يرونه مادة وروحاً مادة يجب تطويرهما خدمة الإنسان وروحاً يجب السمو بها ليسعد الإنسان ولو سادت الأفكار المادية في الحياة لحلت شريعة الغاب محل شريعة الحق والعدل وشقي الضعفاء واصطع الأقوياء وامتهن الكرامه وعم الشقاء والجهالة من هذا المنطلق تختلف النظرة إلى الشيء الواحد بين إنسان وإنسان فرؤية المسلم إلى حدث من الأحداث أو ظاهرة من ظواهر المجتمع غير رؤية المادي إليها.

رؤية المسلم تقوم على الإنسام مع تعاليم الله التي تهدف إلى سعادة الإنسان وتقوم على الجد والعمل والإنتاج لراحة الإنسان وعل التضحية في سبيل اسعاد الضعفاء والمحرومين وفي سبيل تحرير الأوطان ليعيش المسلم حراً كرياً. لذا كان طبيعياً أن تكون الرؤية الإسلامية رؤية موضوعية غيرية تهدف إلى رضاء الله تعالى بإسعاد بني الإنسان والدكتور عماد الدين ممن يرى رأي الإسلام والحمد لله. لذا نجده في هذا الكتاب ينظر إلى الأحداث نظرة الطبيب الفاحص.
يشخص الذهاب ويصف الدواء من صيدلية الإسلام وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به. فمن وضع على عينيه نظارة خضراء شاهد كل شيء في الحياة من خلاها أخضراً وإن وضعها حمراء شاهد كل شيء أحمرًا وإن وضع على عينيه نظارة مادية شاهد كل شيء في الحياة مادياً وإن وضعها إسلامية شاهد كل شيء من خلاها من منظور الإسلام والسلم والسلام.

دار الثقافة

محمد سعيد ميض
في مقدمة كتاب «مؤشرات إسلامية في زمن السرعة» (1) وردت الملاحظة التالية: «في زمن السرعة والإختزال والتركيز، يتحتم على المفكر المسلم، إلى جانب ابحاثه المنهجية الشاملة، أن يطرح رؤاه ومواقعه واتهاماته وتحليلاته، عبر صيورة الحياة المتدفقة، مركزة غزيرة، بمقالات أو ربما بكلمات قصار».

وفي مقدمة كتاب «آفاق قرآنية» (2) الذي بعده في الصدور، ترد الملاحظة التالية: «هيئة في حياة المسلم العصر، أحداث وتجارب وعلاقات وقيم وأراء، وماضيات وتوجيهات ووقائع ونزاعات... يتحتم عليه أن يقف إزاءها، بين الحق والخلط، لكي يسلط عليها، من زاوية رؤية الإسلامية، لتحليله وفحصه وإختباره، ويصدر حكمه، ويتخذ من ثم موقفه...».

وتختتم المقدمة بالإشارة إلى أن الكتاب يتضمن رصداً والعشرات...

(1) مؤسسة الرسالة، بيروت - 1984م.
(2) دار العلم للملايين، بيروت - 1979م.
من التجارب والقيم والواقع، لما يعرض في حياتنا اليومية الراهنة،
أو في ساحات الفكر والحقيقة... إلى آخره...

فإذا كان كتاب (آفاق قرآنية) قد رصد تجارب ومواقف وجهات
نظر عبر أواخر السبعينات وبداية السبعينات، وإذا كان كتاب
"مؤشرات" قد واصل الطريق عبر السبعينات، فإن هذا الكتاب
الذي يجد القاريء بين يديه مميزة مكمَّلًا لصنوته فيصد بعضاً ما يستحق
المتابعة والتعقيب مما تجمع لدى في مطالع الثمانينات.

مرة أخرى، يبدو المقال الموجز ذو الصفحتين والثلاث ضرورياً في
زمن السرعة، والتكرار، والوقت المحدود؛ شرط أن تتضمن هذه
المقالات قدرًا من التصاميم الذهنية، وتتابع التوجيه أو الخبرة
بالتركيز المطلوب الذي يلي بأطراف المسألة بأكبر قدر من الاقتصاد في
اللغة دون إغفال جماليتها بطبيعته الحال.

استميح القاريء عذراً إن اختطأت أو قضيت، وانتظر منه تسديد
الخطأ والإرشاد إلى الصواب... وإلى الله وحده تتوجه بالأعمال.

الموصى: عماد الدين خليل.
الحضارة فعل لا نقل

نحن الآن، وكما يقال، في سباق حضاري مع الغرب.
هم يسبقونا بنصف قرن، كما يقال أيضاً، ونحن نحاول أن نختزل هذه المسافة الزمنية بجهد مضاعف لكي نلحق بهم وتتفوق عليهم.

هذا كله صحيح.. بل هو ضرورة من الضرورات التاريخية بالنسبة لكل أمة حية تسعى لأن تكون لها مكان محترم في هذا العالم، وإلاً، أن تنحقق بالشروط اللازمة لهذا الإحترام.. وإلاً لما شهد التاريخ تلك المسابقات الحضارية المتواصلة بين الأمم والشعوب، وذلك التغير المستمر في المواقع المتقدمة، تارة، لهذه الأمة المتقدمة وحيناً لتلك.. وتارة لهذا الشعب وحيناً لذاك، قياساً على مدى القدرة التي تبذلها أمة ما من الأمم، أو شعب ما من الشعوب، للأسراع في الوصول إلى خط النهاية واحتلال الموقع المتقدم ذلك.

والأمم التي لم تبذل الجهد الكافي، أو تقدم الحد الأدنى على الأقل، فإنها لن تبلغ هدفها أبداً، بل إنها ستخرج منذ التصفيات...
الأولى للسباق الحضاري، ولن تتاح لها حتى فرصة الإشراك فيه.

وهل أننا بيرز السؤال الذي يتزامن جوابه الصريح: ترى هل أن
محاولة الراهنة للفوز بالسباق استكملت إسابها حقاً؟ وهل انتقينا
عند خط البداية على الخطوط المرسمة للوصول إلى الأهداف؟

يفقد المء منافقاً أو أجاب بالإيجاب، أو على أقل تقدير -
جاهل، قصير النظر، غير قادر على فهم واستيعاب أحداث
الأحداث التي تتشابك أمام عينيه، ولا بد من الاعتراف بهذا الخطأ
الكبير الذي ظلنا نمارسه منذ أكثر من نصف قرن ولا نزال، لا بد
من الإعتراف من أجل ألا نضج فترات أخرى من الزمن وнецهر
طاقات وقدرات أخرى، وتعظى القدرة للغرب كي يبعد عن
مواقعنا الحضارية، ويحلق في اليماء السابقة ونحن لا نزال نتحبط في
البرك والمستنقعات.

إذا أردنا أن نشحَّص السبب الرئيسي الذي قادنا إلى هذا الخطأ،
وضيع علينا هذا الذي ضعبه لوجودنا، يكمن في عبارة واحدة: لقد
فهمنا الملاحظة أو التنافس الحضاري على أنه نقل عن المتفوقين وليس
فعلًا يتحتم أن نمارسه بعقلنا وخبراتنا وأيدينا، وأن نصوغه من
عقيدتنا ورؤيتنا وإيامنا الخاص.

إن مدننا تشهد - كما قال بعض المعلقين - «ثورات كونكريتية»
.. شوارع نسيحة، تطل عليها عمارات أنية شاهقة كنتلك التي
تطل على شوارع نيويورك ولندن وباريس ..
.. وأن دورنا تشهد تراكيماً في مقتنياتها الصناعية الحديثة، من
التلاجة، إلى المجمدة، إلى التلفزيون، إلى الغسالة الفول أوتماتيك إلى الفدبو. إلى آخره. وهي مقتنيات صنعت في الغرب، أو أن أجزاءها صنعت هناك ولم نفعل نحن سوى أن ربطنا هذه الأجزاء.

وإن مؤسساتنا تشهد اعتماداً متزايداً على آخر المبتكارات التقنية، بدءاً بالمصانع الكيماوية وانتهاء بالمحاسبات الإلكترونية والروبوت.

ولكن هذا كله لم يجعلنا نقف على قدم المساواة مع الحضارة الغربية، بل الغربية، بل إنه لم يقرب المسافة الحضارية بيننا وبينهم ولو شيئاً واحداً...

ظلت هذه المسافة كما هي، بل إنها اغلب الظن زادت اتساعاً...
لماذا؟ لأن كل ما فعلناه هو أننا نقلنا بعض معطيات الحضارة الغربية تقلباً شبيهاً أو تجارياً صرفاً، وجعلناها تراكم في مدنا ودورنا ومؤسساتنا دون أن يكون لدينا احياناً حتى الكوادر البشرية القديرة على استيعابها وتشغيلها...

وقعنا عند هذا الحد، النقل عن الثمار المادية للحضارة الغربية. وهذا وحده لا يكفي...

صحيح أنه يعد، في مرحلتنا الراهنة، ضرورة من الضرورات الملزمة، لكنه بحد ذاته أي بالوقوف عنده دون اتخاذ الخطوة الأخرى التي توازيه وتحتويه، لن تكون قد فعلنا شيئاً...

قد نتحقق بالرفاهية المادية... ولكننا لن نحقق بشروط السباق الذي يمكننا من منافسة الآخرين... بكل تأكيد...

11
والخطوة المطلوبة هو أن نعكس المقولات الخاطئة، فندرك أن الحضارة فعل وليست نقلًا.

وهو هذا الفعل الذي يتسم أن يتميز بالأصالة والذاتية وقوة الشخصية، لا يتشكّل في الفراف أو ينثب في الفراف.

لا بد أن تكون هناك عقيدة دافعة، وإيمان محفز، ورؤية شاملة، وأهداف عديدة، وخصوصية متميزة.

ومن الين نأتي بالأخلاق، والإيمان، والرؤية، والهدف، والخصوصية، إن لم نستمدها من الإسلام نفسه.. الإسلام الذي صنعنا وحضّرنا أول مرة وهو قادر أبداً أن يعيد صنعنا وتحضرنا؟

الإسلام الذي نفح فيه يوماً روح العمل، والفعل، والإنجاز، ومنحنا الشروط اللازمة، ودفعنا لركن المسافات الطوال، ومكّنا من كسر الأرقام القياسية، وصولاً إلى خط النهاية، والتفوق، والشهادة على الأمم والشعوب والحضارات؟

إن أية محاولة لاعتماد عقيدة أخرى غير عقيدة الإسلام سوف تجعلنا ننظر حيث نحن، لأننا سنمارس حينذاك خطيئة مزدوجة.
ففي حالة التقل الشيء، كان نأخذ عن الغرب ما يبتكره من أشياء، وهذه مسألة ذات طابع حيادي، قد لا تعمل بأكثر من جعلنا نلهث وراء الغرب باستمرار...

أما في هذه الحالة فإننا ننقل عنه أفكاراً قد تتضمن الكثير من الاخطاء والإجراحات، أو أّها في أحسن الأحوال، تعمل قيّة مغايرة تماماً لقيمتنا مرتزمة بها ابتداء، الأمر الذي قد يقود، أو هو
قاد فعلاً إلى هذا الدمار الذي تعانيه، وإلى هذا التزايد المحزن في المسافة الفارقة بيننا وبين الغربيين.

ترى... الميان الأوان بعد للفكر جدياً بهذه المسألة، والإنطلاق ثانية من خط البداية ونحن فتلك الشروط التي تمكننا من قطع المسافات الطوال؟!
وفقًا لبعض المواقع مثلاً الهداية والرسالة، كان ناجمًا عن تفوق الهداية على خلافاً مع العامة، حيث بقيت هناك مساحة كبيرة للمدح والانتقادات.

ربما يكون هناك الآن أسباب محددة للاختلاف في الآراء. لكن لما تحدثنا فيه... يتضح

 данныات مختلفة والخصوصية

21
معاول أخرى في جدار الأحاد

يوماً بعد يوم يتزايد التكشف المذهل لأيئين معجزتين في كتاب الله نتضممان بعداً زمنياً يشير إلى أن "مرور" الأيام والسنين والقرون سوف يحقق مزيداً من الكسب لمواقع "الأيام" في العالم، والخسارة والإندحار لمنابع الكفر والإلحاح، هنالك حيث تتعزى سن الطيعة وحقائق الحياة ونوميس الموجود لكني تدل بما لا يقبل أية لجابة أو اعتراض على خلقها الواحد، المبدع، واحب الوجود، سبحانه.

هل كذبوا بما لم يحترموا بعلمه وما يأتيهم تأويله؟

فسن مهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بريك أنه على كل شيء شهيد؟

ففيما بين شهري نيسان "إبريل" وتموز " يوليو" من العام الماضي كان ب묵دود القارئ العربي "على الأقل" أن يضع يده على ثلاثة أبناء وردت في عدد من الصحف والمجلات العربية، وهي جميعاً

(1) سورة يونس آية 39.
(2) سورة فصلت آية 38.

١٥
تؤكد، منطق صارم واضح كنور الشمس، هذا الذي ذهبنا إليه

أحدى الصحف الخليجية الصادرة في نيسان تطرف تحت هذا
المانشيت: "شارلز دارون، هوية جديدة لنظرية دارون، وعالم يعترف
بأنه زوّر وثائق لإثبات نمو المع، النبا التالي: "شارلز دارون
صاحب نظرية التطور التي تدعى بأن الورث أصل الإنسان يواجه هوية
جديدة في الولايات المتحدة. فبعد القرار التاريخي الذي اصدرته
محكمة لوس انجلس في ولاية نيويورك في مطلع هذا العام ضد نظرية
التطور، والاثرات العديدة في استنتاجاتها، والتصويب بأن يتم في
المدارس تدريس الحقائق الدينية عن خلق الإنسان وضلا فقرات إلى
منهج دارون بأن نظرته الفرضية، دخلت ولاية ار kansاس أيضاً في
الصراع ضد دارون وبدأت المحكمة في نظر دعوى مماثلة ضد نظرية
التطور..."

الدكتور محمد جابر الإنصاري يترجم عن الفرنسية "المحاورة
الأخيرة بين سارتر ودي بروفور" (1) حيث يرد هذا الإعتراف الخطير
على لسان سارتر زعيم الوجودية الملحوظة: "أنا لا أشعر بأنني مجرد ذرة
غير ظهرت في هذا الكون وإنما أنا كائن حيّاس تم التحضير
لظهوره وأحسن تكوينه أي بإيجاز كائن لم يستطع المجيء إلا من
خالق".

ويعقب الإنصاري: "هذه العبارة تصف فلسفة سارتر الإباحية
من الأساس، ثم ينتمي مقاله بهذه الكلمات: "وبعد، فهذا هو...

(1) مجلة الدوحة عدد 77 مايو 1982.

16
 موقف سارتر في ساعة الحقيقة من الفلسفة ومن فلسفة الوجودية وكتبه الفلسفية التي كانت غذاها فكريًا هاماً لبعض مثقفينا قبل هزيمة حزيران، والتي ما زال البعض يكتب حتى الآن تحت تأثير منطقتها العبرية.

ثم هو الدكتور أحمد أبو زيد يذكر في مقال له عنوانه "هل مات دارون حقًا؟" كيف أنه صدر في انكلترا ومنذ شهور قليلة وفي أواخر عام 1981. كتاب يحمل عنوانًا طريفًا هو (التطور من الفضاء) أقام تأليفه عالم الفلك الشهير سير فريد هويل وعاونه في ذلك استاذ هندي يدرس الرياضيات في جامعة كارديف. ويعترف الأستاذ أن بصراحة في ذلك الكتاب بأنها ملعذان ولا يتميزها لأي دين أو عقيدة، وأنها يعالجان أمور الفضاء وحركات الكواكب بأسلوب علمي بحث ومن زاوية عقلانية خالصة لا تحمل ولا تتأثر بأي موقف ديني. ويدور الكتاب حول مسألة احتمال وجود حياة على الكواكب الأخرى، ويتناول بالبحث الدقيق الفكرة التي سادت في بعض الكتب الأخرى، ويتناول بالبحث الدقيق الفكرة التي سادت في بعض الكتبات Prineval Soup التطورية عن ظهور الحياة تلقائياً من الولح الأولي نتيجة لبعض الظروف والتغيرات البيئية.

ومع أن هنالك نظريات معارضة لهذا الاتجاه وهي نظريات ترى أن احتمال ظهور الحياة من هذه الوحل أو الطين الأولي لا تزيد عن 10، فإن هويل يرى بعد حسابات رياضية معقدة وطويلة ودقيقة،

(1) مجلة العربي عدد 284 تموز 1982
أن هذا الاحتمال لا يزيد بحال عن 1؛ 1000 و. . . . أي واحد إلى عشرة، أمامها أربعون ألف صفر، مما يعني أنه لا تكاد توجد فرصة لظهور الحياة عن طريق التوالد النlicantي من هذا الطين، وبالتالي فإن الحياة لا يمكن أن تكون نشأت عن طريق الصدفة البهجة وأنه لا بد من وجود عقل مدبر يفكر ويبدد هدف معين. وعلى الرغم من اعتراف المؤلفين الصريح - كما قلنا - بالحادث، فإنها لا يجدان أمامهما مفرًا من أن يكتبوا الفصل الأخير من الكتاب تحت عنوان ( الله - God)

هل ثمة من داع لوضيحة، أو حتى للتعليق، على الأنباء الثلاثة سواء أنها معاوَل أخرى تشهدها العقود الأخيرة من هذا القرن، من بين عشرات ومئات، وهي تنقض لكى تفتح الثغرات في جدار الإلهام الأصم، القاتم، فتمنح الإنسان المعاصر الذي يغوص في الظلمة، فرصة أكبر لمعانقة نور الله، والخروج من ضيق الدنيا إلى سمتها!؟
المهم أن يكون العدوّ للإسلام

لا يملُك الأمر إلا أن يحاربواه وهويًا أو ألبعض كتاب مصر الذين يطلقون على أنفسهم «التقدمين».

إذ كيف يبيحون لأنفسهم أن يكبلوا الثناة والتقدير لعناصر رجعتهم، إذا استخدمو مقاييسهم هم، لعبت دورًا سليماً في مسار الفكر الحديث، في هذا الجانب أو ذاك؟ كيف يبدون أعجابهم لرجال وقفوا مع الإستعمار ضد التحرير، ومع العدو ضد الأخ والصديق، ومع السلطة ضد الشعب، ومع الفزو الفكري ضد الأصالة ومع الإقليمية ضد العروبة والإسلام؟

أنا ونحن نقرأ حشد من هؤلاء الكتاب الذين تناولوا الحياة الفكرية والأدبية في مصر عبر النصف الأول من هذا القرن، نجدهم، رغم عدم قدرتهم على تنطيط هذه المثلاب المضادة في الفكر التقدمي، بل رغم اعترافهم بها أحياناً، يترددون في شن هجومهم على أصحابها، أو مسهم بالتدفق على الأقل. بل يترددون حتى في توجه لوم هادئ للمواقف الخاطئة التي اتخذوها، والواقع الفكري الذي
تشير بها، ليس بإرادتهم واختيارهم، اغلب الظن. وإنما بتوجيه
والالتزام من الجهات التي آثروا على أنفسهم أن يرتدوا بها لأنها تدعهم
وتميمهم... والتقدميون يعرفون هذا جيداً.

هناك نافذة كثيرة، لكننا نختار واحداً منها قد ينفي عن الصف:
الطويل، لأن جلّ من فيه لا يبدو أن يكون تكراراً غثياً يتخذ الموافق
نفسه، ويصدر عن الرؤية ذاتها، ومتحرك الدوافع التي حركت
الأخرين... «أحمد لطي السيد».

و«أحمد لطي السيد» بالذات كان معروفاً عنه كراهيته للعنف،
ودعوته الملحقة مقاومة الاستعمار بنشر التعليم، وأن هذا هو السبيل
الوحيد لطرده من مصر... ومعروفاً عنه كذلك اثنته للطبقة
الإقطاعية، وموالاته للملك، وزعته الإقليمية التي تخف نقيضاً تجاه
كل ما هو عربي أو إسلامي.

مع ذلك كله، فإن الأقلاع التقدمية التي أُرخت للحقيقة كانت
تكيّل له المديح والثناء باعتبارها واحة من رواد التحرر والعلمانية!
هذه الأقلاع التي أدعت أنها أظهرت سلاحها بوجه الملكية والظلم
والإستعمار والديموقراطية المزيفة والإقليمية... تجد نفسها تجاه رجل
يُمثل هذا كله، عاجزة عن توجيه النقد والتعريف الذي صبّه على
رؤوس آخرين قد يكونون أقل بكثير من «أحمد لطي السيد»
ملكية وإقطاعية وإقليمية ومهادنة للاستعمار!

وهؤلاء الكتاب التقدميون الذين استهزمهم في الربع الثالث من هذا
القرن، هواية التفسير الطبي للتاريخ، والمجتمع، والسياسة،

٢٠
والثقافة ... واستعادتهم اسطورة الشرائح الاجتماعية ، واعتقدوا أن تطمين المصالح هي الدافع والمحرك والهدف لكل نشاط إنساني ، وقسموا المجتمع المصري إلى طبقات وفئات ، وفسروا سلوك كل منها اعتماداً على ما تملكه من مال وما تتضمنه جيوبها من نقود .

هؤلاء الكتاب عندما يقفون أمام رجل «كأحد لطفي السيد» يكِفون عن صراخهم ويتزودون في تقديم استنتاجاتهم الرتية التي يأخذها الواحد منهم عن الآخر والتي كانت أن تصبح تقليداً ثقافياً يحكم بالنفي على كل من يتجاوزه أو يقف لكي يقول رأياً خالقاً لمعطياته الجامدة كالصخر ، الباردة كالجليد .

ورغم أن «لطفي» يتمي إلى طبقة الإقطاعيين ، ويعمل في حزب يتبنى مصالحهم ويدافع عنها ، فإنه لا يلتقى الهجوم وال النقد الذي كان يتلقاه بكثافة رجال كانوا أبعد بكثير عن طبقة الإقطاع ، وأقل ملكية بكثير من الرجل إيه .. بل إن بعضهم كان يتمي لأحزاب تبتق من قلب الشعب وتفاف بالخلاص عن قضايا الجماهير ومواجهة الإقطاع والسلطات والإستعمار .

ويجد الرجل نفسه مسطاً للتساؤل عن دوافع هذا اللغة المحرر .. عن الأسباب التي تكمن في هذا التناقض الذي يوقع الكتاب التقدمين انفسهم فيه ؟
وقد لا يجد بعد بحث طويل مدعوم بالأدلة المقارنة والواقع، ومستند إلى معطيات هؤلاء الكتّاب أنفسهم، سوى جواب واحد قد يمنح الإنسان القناعة المفقودة، وهذا الجواب يمثل بعبارة واحدة، لكنها تعني الكثير، وتفك الطلاسم والألغاز وتلك هي؟ ليس هما موقع الرجل في خارطة الفكر والممارسة، ولكن المهم أن يكون عدوا للإسلام، مسخراً بأيدي خصومه!!
بروتوكولات صهيونية .. مرة أخرى

منذ زمن بعيد، عندما كان أحدنا يطالع في كتاب "بروتوكولات حكاية صهيون" المعروف، فإن الشعور الذي كان يت))==^&إلاحساس بالبالغة التي قد تتجاوز حدود العقول، ويتصور بأن الحكاية "تعتمد هذه البالغة لتحقيق غرض ما في نفوسهم فقد تكون صيغة من صيغ الحروب النفسية، وقد تكون البروتوكولات في طارها العام بمثابة حلم أو تخيل لما يتمى يهد العالم تحقيقه بأي سلوب!

وبمرور الوقت أخذت الوقائع التي راحت تزداد كثافة يوماً بعد يوم

إذا بعض ما قاله الحكاية في مقرّراتهم السرية تلك، وكأنها - أي
وقائع - تجلي بمثابة انطلاق هندي باره بين المقوله وبين التنفيذ.

ليس هذا مجال الحديث عن "البروتوكولات" التي اشعة بحثاً
تخيلاً منذ ظهورها حتى الآن. ولكننا احبح ان اقف ، لحظات ،
آذب واقعة تلفت نظر من يطالع مذكرات الشاعر التشيلي المعروف ؛
بلو نيرودا.

يقول الرجل "لقد تعرفت في الباحة .. المبحة إلى الشرق"
القصص على فتاة يهودية تدعى ‗كروزي‘ شقراء، سميت轻轻地
ما . . . وقالت لي أن لها منصبًا جيدًا في باتافيا . . اقتربت منها في الحفلة
الأخيرة للرحلة البحرية، بين كأس وkas كانت تجري للرقص . في
هذه الليلة الأخيرة قررت أن غارس الحب في غرفتي بشكل ودي .
اعترفت لي كروزي من جهتها بالعمل الحقيقي الذي كان ينتظرها
في باتافيا . كان ثمة منظمة فلنددها دولية (1) كانت مهمتها هي أن
تشبك فتيات أوروبيات في أسرة آسيويين معترين ذوي مناصب أو
القبا مهمها . بالنسبة لها فقد كانوا أعلموا الحق في الاختيار بين
عراجا أو أمير في سيم أو تاجر صيني غيفي ، فقررت اختيار هذا
الأخير لكونه شبًا وديعا . ((1).

وفجأة تذكرت بعض مقاطع البروتوكولات من المسيحيين - يقول
البروتوكول الأول - أناس قد أضلاهم الخمر، وانقلب شبابهم جانين
بالمجنون المبكر الذي أغرهم به وكلاًنا ومعلمنا وخدمنا وقهر ما ناتنا
في البيت الغني ومن إليهم، ونساؤنا في أماكن لهم، واليهم
ضيف من يسمي ‗نساء المجتمع‘ والراغبات من زملائهم في
الفساد والترف . (2)

ه اليوم - يقول البروتوكول العاشر - سأشرح في تكرار ما ذكر من
قبل، وأرجو منكم جميعاً أن تذكروا أن الحكومات والأمم تقع في
السياسة بالجانب المثير للأملاك من كل شيء، نعم، فكيف يتاح
هم الوقت لكي يختاروا بواطن الأمور في حين أن نوابهم الممثلين لهم

(1) صفحة 150 من الكتاب المذكور، ترجمة محمود صبح، الطبعة الأولى 1975.
(2) صفحة 111-112 من الطبعة الرابعة، ترجمة محمد خلية التونسي.
لا يفكورون إلا في الملذات؟(1)

ولكي نصل إلى هذه التناقض - يقول البروتوكول العاشر نفسه - ستتدير انتخاب أمثال هؤلاء الرؤساء من تكون صحافتهم السابقة مسيرة بفضيلة .. أو صفقة مالية مربحة .. إن رئيساً من هذا النوع سيكون منافذاً وافياً لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذي يمتلك دائماً الرجل الذي وصل إلى السلطة، والذي يتفهم على أن يستفي انتزاعاته وأبحاه المرتبة مبكره الرفع(2).

إذن، فإن الأمر ليس كلاماً يقال ولا حلاً أو خيالاً .. إننا نلتقي فيها يحكم لنا الشاعر التشيلي بكروزي، التي قالت بأن لها منصباً جيداً في باتافيا، ولتتقي منظمة دولية، كانت مهمتها أن تشبع نيات أوربيات في أسرة آسيويين معتبرين ذوي مناصب أو ألقاب مهمة، والنتيجة بعد ذلك معروفة، تسرها وتزيدها أضاحاً المقاطع التي مرت بنا قبل لحظات.

ويقيناً فإن «كروزي» ليست وحدها، والمنظمة الدولية الأوروبية ليست وحدها كذلك .. فهذه وتلك ما اكتشفه بالصدفة، الشاعر التشيلي في عشرينيات هذا القرن، فاما ما لا يكتشفه فهو مئات من «كروزي»، والعشرات من منظمات القواد العالمية ذات المستوى العالي .. إذا صحيح التعبير!

(1) المرجع السابق ص 148.
(2) المرجع السابق ص 163.
إن المسألة ليست حدثًا عابراً، ولكنها ظاهرة لعبت ولا تزال دورها الخطير في سياسات الدول والحكومات.

يرى ... ابتدور قوة في الأرض أن تتجاوز اخلاق المسلم المحصنة بالإيام العميقة لكي تسوقه إلى هذا المصير المفجع فتجعله بالملذة، وبالخوف من الفضيحة أداة رحيبة بأيدي المنظمات الدولية؟ ومن أجل أن تمضي «كروزي» اليهودية إلى هدفها، وتجد المنظمة الدولية الطريق معبدا أمام عمليات الأصطياد اليومي كان لا بد من تدمير حاجز القيم الخلقية وإزاحة ترسانة الإيام ... وكذلك ما تفسنره وتؤكده بروتوكولات أخرى يعرفها الجميع ...
الظاهرة الأبدية

للماضيّين وأنصار المؤمنين تفسير عديدة للظاهرة الدينية، يتحول أحدهم من إحداهما إلى الأخرى حيثّا شعر أن فيها خلاً ما، أو ثغرة واسعة قد تجعل التفسير يرتمِّم مع أبسط البداهات العقلية، فضلًا عن الروحية، حتى إذا وجد أن تفسيره الجديد لا يحظى بالإقناع الكامل هو الآخر يتحول عنه إلى غيره.

وهكذا قد تستمر رحلة التفسير للظاهرة الدينية العمر كله، وقد ينتهي الأمر بعض هؤلاء إلى موقف تقيّس تماماً للمنطق الذي صدوا عنه فيتحولون إلى ( التديّن ) بعد إذ أدركوا خلل ما كانوا فيه وسخُفُ كل المحاولات البشرية الوضعية القاصرة لتفسير ظاهرة تفوق قدرة العقل البشري نفسه وتأثَّر على معطيات الحضّ القريب.

يقولون أن التدين هو نوع من تشيّب الإنسان بالخُرافات امتداداً لجهله بسنس الحياة وقوانين العالم. يقولون أنه محاولة ساذجة يجابه بها الإنسان ضعيف القوى التي تقوى وتهذدمصيره فيعبده ويضع لها درءا لعقابها الذي لا يدري كيف وإن ينزل على رأسه. يقولون

27
أنه تعبر عن حالات نفسية معينة يزول بزواها ... ويقولون أنه انكماس طبيعي لتضمين مصالح طبقية ما وتمكينها من محاولة خصومها ... ويقولون ... ويقولون ... وأكثر هذه المقولات اعتدالاً، ويعداً عن الشكل، تلك التي ترى الذين تعبرها عن نزوع الإنسان المستمر لفهم الكون وتحقيق نوع من الوفاق بينه وبين العالم الذي يحيا فيه.

لكن هذه المقوله على اعتدالها الظاهر لا تعد أن تكون كلمة حق يراد بها باطل .. خطأ مقصوداً في نهاية التحليل يسمى خص الظاهرة في نطاق وضعي وطرضها كما لو كانت سعيًا بشريًا صرفاً يقوم به الإنسان من الداخل، من نسيج تركيبه وتشوّه ومطاعمه لصياغة حالة دينية يتحقق من خلاوة بالإيمان، والقناعة والإستقرار.

ووهذا بطبيعة الحال موقف ناقض ابتداء التحليل الذي جاءت به الأديان السماوية ... تحليل يقف على طرف التضاد الكامل معقول بأن الدين فعلي يقضي يتزن بين حقيقة أخرى لكي يعيد الإنسان إلى مساره الصحيح في مسائل العالم والكون والحياة.

علم فوقي يجيء من الله سبحانه، ويتلقه الإنسان هبة علوية كاملة الصدق، وليس له أزاءها أن يزيد أو ينقص، أو أن يغيّر ويبدل ما دام أنه قد قبله، منذ اللحظة الأولى، برنامج عمل، الهي لم يكن بقدور الإنسان أن يتمسك بالصراط ويعود إلى هدفه على الخطي المستقيم إلا به ومن خلاله.

نعم لقد حدثت الزيادة والنقص، وتم التغيير والتبديل على كثير من

28
الأديان القادمة من السيء، لكن هذا الفعل «الإضافي» البشري القاصر ما فعل سوى أن غطى على جوهر تلك الأديان ببطقة من الرين والتراب، ما فعل سوى أن قام بتزوير روحها، وتضيع شخصيتها المتميزة وتحويلها إلى حشود من الضلالات والأوهام.
وتم فرق كبير بين هذا التزوير الذي كاد أن يأتي على العديد من الديانات السماوية وينحرف بها صوب وجهة مغايرة تماماً لمسارها الأصيل، وبين الديك العقلي الوضع الذي تركته هذه الأديان للإنسان المؤمن كي يعمل جهده الخاص وقدراته الذاتية من أجل تنظيم حياته على ضوء مؤشرات الدين وخطوته الكبرى القادمة أساساً من السيء والتي ليس لأحد الحق مطلقاً في أن يغير فيها ويدلل أو يزيد وينقص ...

تنظيم الحياة على ضوء المعطيات الدينية وليس من خلال تزوير.

هذه المعطيات وإضافة أجسام وضعية غريبة في تركيبها.

إن الإسلام الذي جاء لكي يصدق ما سبقه من أديان، وهومن عليه، الإسلام الذي تتزل لكي يعد الألفة، والوضوح، ويكشف عن الشخصية الدينية عبر مسارها الزمني الطويل الذي عشت به ريباً الأهواء البشرية والمصالح والظنون الإسلامية يؤكد هذا المرة تلو المرة حتى ليغدو ويدله من بديعات الحس والوجدان المسلمين ...

فليس الدين - إذن - سوى علم لدني لم يكن يقدر أحد من الناس أن يصنعه على هواه، أو يفضل عليه قدّ مصالحه النفسية أو الاجتماعية.

٧٩
وإذا كان ثمة في الأديان ما يوحي بأنها تعكس قدراً من النثبت بالخفاقة، أو تسعى لتحقيق قدر من الأمن الذاتي على حساب الحقائق. وإذا حدث وأن عبر هذا الدين أو ذاك عن حالة نفسية أو مصلحة طبقية، فإن ذلك لأن الدين نفسه يريد هذا أو يتخا حبذاً، وإلا لأن الأهواء البشرية نفسها سعت لتحول الدين عن مهمته الحقيقية وزيتت يداً الغرض أو ذاك - اهدافه الكبرى. وهذا شيء والقول بأن الدين نفسه ظاهرة عرضية في مسار التاريخ البشري وأنه انعكاس حالات نسبية مؤقتة وتراكمات زمنية عابرة، شيء آخر تماماً.

لأن الدين ظل، وسظل تلك الظاهرة الأبدية التي تتم استمرارها وديومتها في محافة كل الأوضاع والأحوال مهما تبدلت وتغيرت.

بل إنه الظاهرة (التاريخية) الوحيدة التي قدرت على تفسير وأوضاع.

ليس ما يحدث في بعض الدول المادية، مثل بولندا، من توجه ميلي جارف، بعد حوالي نصف القرن من المحاولات المرسومة لقتل الظاهرة، دليلًا منظورًا، ومقنعًا، لما نقول؟

30
منذ أكثر من عام تناقلت الصحف نبأ إعلان المفكر الفرنسي الشهير "روجي غارودي" إسلامه!

لم يكن حدثًا عادياً والحق يقال، فزار غارودي عقل كبير من مختلف الثقافات عميقها... ليس هذا فحسب، ولكنه ينحرف وصول الفروع عبر ربع القرن الأخير، كان يمثل "تقليداً" ثقافيًا على الساحة الغربية، أو بعبارة أخرى "ظاهرة" لم يكن هو سوى واحد من غازجها الكبيرة.

ففيما بين الحبـين العالميين على وجه التحديد كان التقليد السائد هو توجّه العقل الغربي المبدع، الفلسفة، الباحث عن اليقين إلى الماركسية.

ومنذ بدايات الحرب، وطيلة العقود التالية بدأت عملية الإرتداد بعد أن تبين هذا العقل أن الماركسية لا يمكن أن تنحه اليقين المشدد، وكلنا نعرف رحلة رجال مثل أمثال "انجري جيد" و"أرثر كوستلر" "ريتشارد رايت" و"أكناز سيلوني" و"ستيفن سبندر" و"لويس فيشر"... وغيرهم من انتموا للماركسية فكراً أو تنظيماً، ثم ما
لبنوا أن ارتدوا عنها أو بعبارة أخرى عجزت هي عن أن تلبّي
طموحهم للتحقيق بالبيئة المرتقبة.
فبعضهم عاد إلى مواقع الفكر الليبرالي المتهيّه، المترع بالتناقضات
وبعضهم الآخر ظل يحلم بمارسية من نوع جديد، وجد نفسه يدخل
الي عالم اليوتوبيا والخيال الفكري الحالم مرة أخرى ...
وفئة ثالثة ظلت تعاني القلق والإضطراب، وواصلت سعيها من
أجل العقيدة التي تطفئ ظماها الملح في عالم قفر، قاداً بالنسبة إليها
اشبه بالصحراء التي لا أول لها ولا آخر.
فأما غارودي فقد قدر على اجتياز المحن وحقق بالبيئة المشوّد
وكانت كتاباته منذ «منعامل الإشراكية الكبير» توضّح بمشتر مفرّد
تعود الروح فيه لكي تعانق الجسد الذي يحتفظ يأساً والحاداً فتبعث فيه
الحياة والأمل من جديد.
من هنا يكسي أسلام غارودي أهمية من بين عشرات، بل
مئات وألفونّ يعلنون إسلامهم كل يوم في مشارق الأرض ومغاربها.
أثّرها بدء تقليد جديد، فتشهد العقود القادمة من الزمن وهل أقدر
من الإسلام) على منح الجواب للعقول الكبيرة التي لم يكن بقدر
الذاهب الوضعية أن تمنحها ما تريد؟ وهما هي العقيدة القادمة من
عند الله الذي يعلم من خلق والذّي هو سبحانه أدرى بخلقه، يحقّق
الاستجابة وقود الخيار إلى المصير المتضاد الذي يتوافون إليه ...
لقد كان الإسلام دائماً قدراً على كسب اناس من مستويات
حضارية متقدمة إلى صفّة، بل إن هذا التقدم الحضاري والنضج
الفكري هو واحد من العوامل التي تدفع المتحقق إلى إدراك أعمق ميزة
هذا الدين، وتفردته وقدره على الاستجابة لطلاب الإنسان
الحداث.
وإنها لمعادلة واضحة الأبعاد، متكاملة الأطراف، أن يملك هذا
الدين القدرة على الكسب في كل زمن ومكان، وأن يلتقى مع مطالب
الإنسان وأشواقه وحاجاته الأصيلة، حيث كان هذا الإنسان، وأن
يحمل قدرته على الحركة والامتداد في قرن تاسع أو قرن عشرين.
وإذا كان الفارق كبيرًا حقًا في المستوى الحضاري - ما بين
الإفريقي الذي انتهى للإسلام في القرنين الماضيين وبين الأوروبي أو
الأمريكي أو الياباني الذي ينتهي إليه في القرن العشرين، فإن ثمة
قاسياً مشتركاً أعظم تذوب معه الفوارق الحضارية والجغرافية
والجنسية، بل تذوب معه حواجز الزمان والمكان، ذلك هو إنسانية
الإنسان. ولقد كان الإسلام وسيظل الصيغة الوحيدة للتعامل مع
هذه (الإنسانية)، ليس من قبل الكلام الذي يقال، ولكنها
التجربة المعاشرة التي شهدتها وشهدها، وستشهدها أقطار العالم
الأربعة...
فليس بدءًا من الأمر أن يتعمّق كبير كالتفكير الفرنسي المعاصر
(غارودي) إلى هذا الدين، الذي ظل وسيظل يتميز بقدره الأبدية
على الاستجابة لطلاب الإنسان في القرن السابع الميلادي أو القرن
السبعين!
قد نسمى باللمح والمبدله بيننا في رفع الله علية، وهي أن نحي الله
فإن شاء فإن اتقوا الله وانصبوا إليه.

هذه حكایة حقيقية، ويفتقر ناشئة إلى تكوينها، ولكنها
عموماً ما كانت قد غرفها حكاية مماثلة مثلاً، فكنا نقول
به، لأننا ننظر إلى ذلك في سبيل إظهار السياحة في
حكایات مثل هذه.

نذكر هنا أن الكتاب نشر في أندلس، في آخر القرن
الثامن عشر، وكان من الأدباء الذين قاموا بعمل
الكتابة في ذلك الوقت، وأنه كان معروفاً في ذلك
الcontinent، وكان له كتابات تتوافق مع أعمال
الكتاب في ذلك الوقت.

وقد وردت هذه الحكاية في بعض الكتب الأخرى،
وقد اتفقنا على أن ننشرها هنا، لأنها توضح
الحكم الذي نشأ من خلالها.

وإذا نشأت هذه الحكاية في هذا النمط، فنرى أن
الكتاب قد بدأ في تطبيق هذه الأدبيات على
الحكایات الأخرى.

وإنما هو إظهار السياحة في هذه الحكاية،
وإنما هو لإظهار أهمية الحكایات في
الكتابة الأدبية.

وإنما هو لإظهار السياحة في هذه الحكاية،
وإنما هو لإظهار أهمية الحكایات في
الكتابة الأدبية.

وإنما هو لإظهار السياحة في هذه الحكاية،
وإنما هو لإظهار أهمية الحكایات في
الكتابة الأدبية.
حين تغدو الفيزياء تلاوة وذكرا

هناك في طبقة اعمق من المعرفة أو الثقافة البشرية التي يحظى بها ويتلقى عددً من المفكرين حيث يحدث أحياناً أن يلتقي العلم بالمنطق بالإيمان بالفلسفة وفق نسب موزونة متناخلة، فتكون كل كلمة تقال أو عبارة تكتب، ويكون كل حديث يروى أو كتاب يمؤلف، عالياً ومنطقاً وفسفة إيماناً، ويكون اللقاء الفذ بين المعادلة الرياضية والقانون الطبيعي والتحليل العقلي والتصور الذهني والتزوع الروحي، ويكون التعاشق المتفرد بين العقل والقلب والروح والوجدان، ويكون التقابل المؤثر الفاعل بين الله والإنسان، هناك في تلك الطبقة العميقة التي لا يسر غورها إلا العقول الكبيرة التي تتجاوز خداع الحواس، وتتأتي على الأسر في حيز المنظور والمسمى العقول الكبيرة التي تعرف جيداً أن المادة لا تشكل جداراً نهائيًا يصعب اقتحامه أو يستحيل، وتدرك تماماً أن وراء الأسوار القائمة عوالم وموجودات وحقائق لا تقل ثقلًا وحضورًا عاً
يتشكل ويتحرك عند أسفل الأسور ، مما تراها الحواس ، إن لم تفقها حضوراً وديمومة وفاعلية وتأثيراً .

هناك في تلك الطبقة العميقة من المعرفة البشرية المستنيرة المتكاملة يكمن ما يمكن اعتباره "الحكمة" العليا أي حistung الجهد البشري في ميدان البحث عن الحق . خلاصته المكثفة وجوهره المتنقى . حكمة . لأن الحكيم يمارس من خلالها جمعاً لا تقليداً، وتوحداً لا تشتتاً، وتوافقاً لا تبطرأ، وشمولاً لا تجريوا .

ولأن الحكيم يمتلك اللغة التي يستطيع برفقته المتألقة أن يتعامل مع كلية العالم المادية ونواميسها وسنتها، كما يبات في الوقت نفسه والفرادة ذاتها الجلك والحيوان والملائكة والشياطين .

ولأنه يعرف كيف ينجز ليس طاقات العالم والطبيعة، وإنما طاقاته الذاتية المذكورة، فيحكي بما يبدو ولهوته الأولى عجائب ومعجزات وأسراراً ...

إن القرآن الكريم يقولها بصراحة ومن يؤت الحكيم فقد أورد خيراً كثيراً (1). فمن خلال المظهر القرآني القادم من عند الله العالم، المدير، الخلق الدقيق، تبدو الحكمة قمة المعرفة، ويظهر الحكيم كأو كان بطل عصره، لأنه المفكر والمؤمن . الفيلسوف والتصوف، الرياضي والمعبد ... لأنه الرجل الكامل الذي تعبر تجربته عن صيغة التوافق المرتجى بين الإنسان وبين العالم والكون وهو الأمر الذي جاءت الأديان لكي تجعله امرآ مشاهدآ في جميع الحياة .

(1) سورة البقرة آية 229 .
والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقولوا بوضوح ( الحكمة ضالة المؤمن أي وجدها فهو أحق بها ) ... ليست هذه المفردات أو تلك ، ولكنها كل المفردات مخصصة العلم الشمولي الذي تكون فيه الكلمة رقية رياضية وتبث وداعاً وذكراء ... إن المسلم ، انطلاقاً من البيئة الثقافية التي درج في احضارها ... بيئة القرآن الكريم والحديث الشريف والمعطيات التي تمضكت عنها في الزمان والمكان لا يحتال - إن على مستوى التحليل العقلي أو الإحساس الوجداني - مأساة التفريق والثنائية هذه بين معطيات المعرفة : لا يحتال أن يكون العقل نقيض الإيمان ، أو أن يكون الجسد نقيض الروح ، أو أن يكون المنطق نقيض الدين ، أو أن تكون الفلسفة سلاحاً بوجه التقرب إلى الله !

إن المسلم عقلًا ، وروحًا ، وجدها ، يملك قدرة ذاتية عجيبة على تحقيق التوحد ، والاندماج ، والتوافق بين هذه التكوينات المعرفية ذات المستويات المختلفة ، والتي حوّل الرجل الغربي ، ابن البيئة المادية ، أو العلمانية في أحسن الأحوال إلى اشتات وتفريق ، واجب بينها الصراع والإفتقال .

واليوم يشهد التعامل الفيزيائي مع المادة ، والتوغل المختبري في تركيب الذرة ومحاولة السيطرة على كنه الطاقة ، والحركة ، يشهد هذا كله امراً عجباً ...

لقد انهارت الأسوار وتسباق الجدران الصلب الذي أتى عليه العقل الغربي طويلاً وأدار ظهره للدفين والغيب والماورائيات كافة . ينهار وتفت حجارة المنظورة ، وطيبه اللزج الهش اللين إذا بالتركيب.
المادي نفسه يقود إلى الغيب !! أو إلى ما يمكن اعتباره مدخلاً للغيب على أقل تقدير.

وإذا معادلات الرياضيات والفيزياء تستحلل تبدأ وتلاوة وتسيبها...

وذكرا ... 

وإذا بالذرات نفسها تعلن بلسان الحال عن تسيبها للخالق المبدع، المدير سبحانه وتعالى ...

بكارها بثبا السالبة والموجبة غير المناقضة كما توهام ماركس ...

وإذا بفلسفة العلم التي هي حصيلة معطياته المستجدة، وقائنه المكلف، وتفسيره المركز، تعلن بوضوح لا تعلق به ذرة من غبار أتنا أمام عصر سعيد فيه العلم كي يرتقي في احترام الدين، بعد رحلة عذاب ونصب دامت القرون الطوال ...

ولن يكون بعد اليوم سوى العقل المتدين أو الدين المعتقل، فليس ثمة بعد ذلك الخصام والإفتات بين تيارات المعرفة وطبقاتها ...

ليس سوى التصالح والوئام ...

وتنطلق "الحكمة" مرة أخرى كي تنير سبيل العالم للمدججين ويكون "الخير الكبير" الذي بشرت به كلمات الله !!
الشاهد المتألق

الأدلة كثيرة .. والحقائق والممارسات التي تشع ضوء حتى ليكاد تألقها يسلب الأباح، أكثر، والبديهيات أكثر بكثير .. بديهيات في الفكر وأخرى في السلوك اليومي المنظور وفي خشود المفردات التي تشكل إخلاقية الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام .. ولكن ابن العقول التي تفقه .. والعين التي ترى .. والقلوب التي تؤمن فتطمئن؟

ثلاث وعشرون سنة ورسول الله يغادر فراشة في جوف الليل لكي يؤدي صلاته كانت تدور لها قدماء ، وتفرغ الأجنان ، ويكاد الجسد يتنصبا وأعيانا ..

ثلاث وعشرون سنة ورسول الله ينهض من فراشته حتى والبرد يلسعه في ليالي الشتاء الجليدية .. حتى ونها النوم يدعوه لكي يرتح قليلا من عنة نهار ليس كنهار الناس العاديين ..

لماذا؟ ولن؟ وعلام هذا العنا .. وهذا الالتزام الصارم وهذه الممارسة التي لم يتنازل عن أدائها يوما واحدا فقط على مدى ثلاث
وعشرين سنة هي عمر الرسالة والرسول عليه أفضل الصلاة وأزكاهما.. وأطيبها؟

وما كان صلى الله عليه وسلم ينام وحده لكي يسلل الشك الشيطاني إلى النفس المريضة فتستسلم له وتقول؟ ربما من يدري؟ لعله صلى يوماً وتجوز أياماً؟

لم يكن ينام وحده.. ومعنى ذلك أن ممارسة كهذه غدت أمرًا تاريخيًا مسلمًا به.. فمن خلال ( شهود ( يومي لنسوته .. أولاً - حيث كان يبتنل في داره .. ومن خلال شهود يومي أكثر اتساعًا لصحابته الكرام الذين ما خليه عن إمامهم في صلاة الفجر يوماً .. تغدو المسألة يقينًا يكتسح كل وسوة .. وشهداء منظورة تفرض حضورها على الملاحة قبل المؤمنين ..

وبرة أخرى .. لماذا ؟ ولن .. وعلام هذا العناية؟

وحاشاً لمؤمن أن يتوجه بسؤال كهذا لنفسه أو لآخرين .. وأنه لأمر بديهي كبديه الإيام نفسها .. أن يهض الإنسان المسلم في جوف كل ليل مليباً نداء الله .. منهذا واحداً من الصلوات الخمس التي كتب الله مواقيتها على المؤمنين فكيف بالرسول نفسه عليه أفضل الصلاة والسلام ..

ولكن سؤال نقف به وجه المشكوكين بنبوة النبي .. الموسومة صدورهم بصدق رسالة الرسول ..

ليس سؤالاً في حقيقة الأمر ولكنه تححمل واحدة من أشد الحقائق ثقلًا وحضورًا لكي يقول للناس .. ها هي ذي .. مفردة واقعة.
تؤكد صدقة محمد بن عبد الله، مع نفسه ومع الناس، وتقبل هذا وذاك مع الله سبحانه الذي لم يكن بصلواته الليلية الصعبة تلك يبقي امره فحسب، ولكنه يتجاوز هذا إلى التعبير عن حبه وشكره وعرفانه.

ترى. كم من أمثال هذه الفردة المتألفة كضرورة الشمس، الواقعة كحقيقة الحياة والموت، المؤكدة كما لم تتأكد ممارسة من قبل، شهدتها حياة الرسول صلى الله عليه وسلم؟

كثيراً جداً، بحيث إنها بجميعها تشكل سلوكاً متناقضاً لم يتعرض يوماً لنشاش ولم يضعف خفقاته حتى اللحظات الأخيرة...

كثيراً جداً، وأن أيّة منها لكفيلة بأن تبلغ بالإنسان حافة النصب وتدعه إلى طلب الراحة بشيء من التقلّت وشيء من التسهيل، بنوع من اللاإكتئاب الذي قد يتطلب الجسد والعقل والجملة العصبية بين الحين والحين.

ولكن رسول الله مفتي ثلاثةً وعشرين عاماً يواصل التزامه ليلاً ونهاراً .. لم يتسهل ولم يرتخ حظة واحدة .. مفتي لكي يؤدي المطالب الصعبة ويضرب بسلوكه النبوي مثلًا للذين يعايشونه، ولكل القادمين فيها بعد علّهم ينذرون عشر ما كان عليه الصلاة والسلام ينذِّر ..

ومن يدري، فلعله صلى الله عليه وسلم كان يجد راحته في هذا الكبد الطويل ويتحقق بالتوازن الصعب إزاء ربه الذي منحه الأمانة الثقيلة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملها واشفقى منها من يدري؟
ولكن السؤال المتبقي يظل قائماً، تقف به وجه قوم يلتقي لهم المرء في كل زمن ومكان... أولئك الذين يسل بهم الشيطان فيجعل معتهم القصوى ممارسة الوساوس والشكوك... هؤلاء هم المعنيون بالسؤال... لماذا؟ ومن؟ وعلام؟ إن لم يكن هناك إله واحد يبعث نبيه للناس، أكان محمد بن عبد الله يلزم مارسة هذا الجهد المضني على مدى عمره الذي قضاه قائدًا وزعماً؟ حيث كان يتحتم بنطق التشكيك نفسه أن ينال من الطيات وأن يستغل... وحاشاه... مركزه هذا لكي يسعد وينتم ويرتاح؟ أكان يفرض... اساساً... هذه الصلاة الصعبة بين الصلوات على نفسه وأمته؟ يبل إنها النبوة الحقة... وإنها مطالب التقابل الكبير بين الله سبحانه وبين مبوعه بالصدق المطلق لكي يقود الناس في كل زمان ومكان، إلى الصراط.
تلك الطاقة المهدورة

يملك المسلمون اليوم طاقات كبيرة وقدرات فعالة لا توفر
لغيرهم من الأمم، ولكنهم لا يفدون منها، لا في حدودها
القصوى، ولا المتاحة، ولا حتى في حدودها الدنيا...

إنهم - للأسف - يمارسون إجزاءها ما يمكن تسميته بهدر الطاقة،
ويدو أنه ليس ثمة أمة في العصر الحديث أبرع في هدر طاقاتها من
الامة الإسلامية وجميعها العربية بطبيعه الحال.

ليس هنا مجال البحث عن الأسباب فهي أوضح من أن يشار
 إليها، كأ أنه ليس هنا مجال استعراض الطاقات المهدورة فهي أكثر
من أن تعد وتخصص. ولكننا نقف وقفة سريعة عند واحدة نحسب من
ممارسات الهدر، كاد المسلمون بالألف والعشرة أن ينسوها تماماً،
تلك هي المنايبر التي تلقى عليها خطب الجمعة، مرة كل أسبوع، في
مشارق العالم الإسلامي ومغاربه.

الأف المنايبر وآلاف الخطب الأسبوعية وملابس المستعينين،
والمرصاد في معظم الحالات لا شيء!!
بل إنه يتجاوز اللائتي هذه صوب ردود الأفعال السلبية التي تعبّر عن نفسها بالمال حيناً، وبالحرف حيناً آخر، والسخط حيناً ثالثاً، وبالطرود إلى النوم حيناً رابعاً، ويزيد من الجهل بالأمور حيناً خامساً...
بل إنه يتجاوز هذه السينات كلها إلى ما هو أمرًّا وانكي: التضليل الذي يمارسه كثير من الخطباء في مواجهة المسلّنين من أجل أن يشروا بآيات الله ثمناً قليلاً...
بل إنه يتجاوز هذه أيضاً إلى ما يمكن اعتباره خطئية واضحة كالشمس!

رذردد بعض المسلّنين في التوجه إلى صلاة الجمعة لهذه الأسباب جميعاً.
رغم أن هذه الصلاة فريضة لا مجال فيها البثة لجلد أو نقاش.
لماذا هذا كله؟ في وقت كان يمكن أن تتحول فيه المنابر إلى طاقة فاعلة تمنح المسلمين عطاء حسناً متجدداً لا ينضب له معين من العلم والتربيّة، والثقافة، والوعي، و مجريات الأمور، وطبع الأشياء؟
يمكن أن يكون المنبر أداة إعلامية للتحقيق بالزائد من الوعي والإحاطة باطراف الوقائع المتجددة على مدى العالم كله فيها بعد فهم والإلمام به ضروريًا لكل مسلم ومسلمة، إن على مستوى السياسة، أو الاقتصاد، أو الاجتماعي، أو العمران...

ويمكن أن يكون المنبر أداة علمية، ثقافية، لمنح جامير المسلمين المزيد من المعرفة في شتى الميادين ومتّخف الحقول، فيما ينمّى
المعطيات التي تلقوها عن المؤسسات التعليمية الأخرى، ويربطها بأصولها العقيدة الإيذائية كي لا تتحول إلى سلاح مضاد يشهر ضد العقيدة والإيمان!

ويمكن أن يكون المثير أداة تربوية تمنح المسلمين، وخاصة أولئك الذين يقفون على عتبات الوعي ولم يتجاوزوا بعد سنى الصبا والشباب، المزيد من القيم التربوية وتدعم على الطريق.

ويمكن أن يكون المثير أداة حركية يرسم الخطط التفصيلية، يحدد الأهداف المرحلة، ويفتقر جامع الناس من أجل بلغها بالاحترام الزمني المطلوب.

ويمكن أن يكون المثير - كذلك - أداة موازنة لصالح الإسلام نفسه بموجهة جهزة الإعلام والثقافة والتعليم والتربية. يخصص ويناشد ويفند ويثبت ويربط معطيات هذه الأجهزة بما يجعلها لا تمر إلى عقل المسلم إلا عن خلال التنظيم الإسلامي.

كثيرا جدا هي الإمكانيات التي يمكن أن يتمثل عنها هذا التقليد الإسلامي الأصيل الذي أريد له أن يكون فاعلاً، مؤثراً، حاضراً في سري الزمان وحمة المكان أي بعبارة أخرى معاصرًا، بمعنى الكلمة...

إن المرء ليتساءل: لم يحاول معظم الخطباء أن يبروا من مواجهة مشاكل العصر وتحدياته إلى موضوعات عفا عليها الزمن وأصبحت جزء من التاريخ؟ لم يبلغوا عن الدخول في حوار مشتر مع معطيات الساعة المتجددة كتي يقولوا فيها كلمتهم ويحيطوا جامعًا المصلين علية بكتها وأبعادها؟
لا يتحتم أن تكون خطبة الجمعة قناة تنفتح على الحياة التي يحياها المسلم اليوم. على ما يتخلق في ساحتها وأروقتها. على ما يصير في جنباتها؟

لا يتحتم أن يتغول خطيب الجمعة إلى صوتٍ إعلامي ينقل للناس ما يحدث على ساحة العالم ما يسمّى المسلمين من قريب أو بعيد، وما أكثر ما يسمّهم من قريب ومن بعيد. بل إنه في زمن السرعة والزيادة وال التواصل الجغرافي الخاطف، ليس ثمة ما لا يهمهم، ومن ثم يجب أن يكونوا على اللسان به، لكي يسروا على بيئة يعرفوا جيدًا المسافر، التي عليهم أن يبتازوا والحرازات المعقدة التي ترسما تضحيات العصر والتي يضيع في شعاعها من لا يلتقي الضوء والإشارة ساعة بساعة واسبوعاً باسبوع.

ويتساءل المرء كذلك، لم لا يتغول الخطيب إلى معلم أو أستاذ يجعل من ساعة اللقاء عناصر على مهندسة مرسومة تعالم فيها مسألة ما، قضية محددة من كافة جوانبها، وتشير بحثاً وتحليلاً لكي يخرج المصلون وقد أضافوا إلى علمهم أرائهم!؟

ولماذا هذا الصراخ الذي يضج الأسماء ويتفت الأعصاب فيها لا يمرر معه للصراخ؟ أم أن الضروري أن تكون خطبة الجمعة صراخاً مستمراً حتى الخطيب يعالج مسألة لا تنتهي ابداً هذا الضجيج المثير إحياناً للقرف والإستيذاز؟! لا يمكن أن تشطت جميع المصلين، في عصر الأدوات الصوتية الكبيرة والموصلة بأسلوب هادئ، رصين قد يحقق ما لا يحقق الصراخ؟

46
استفادة كبيرة تدور في ذهن المسلم، واعترافات شتى تحيك في نفسه وهو يجد هذه الممارسة المؤثرة التي منحها الإسلام اتباعه مدر على أيدي وألسنة حشود الخطباء التقليديين، وقد تتحول إلى سلاح مضاد... لماذا؟!
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
الزكاة .. تلك الضريرية العجيبة

حتى عهد قريب كان كثير من الناس يتصورون أن الزكاة ضريرية بسيطة لا تعدو أن تكون نسبة متواضعة على رأس المال قد لا تتجاوز عن مبالغ ذات بال، بل إن بعض الناس تصوروها مجرد تركيبة أدبية للمال بغض النظر عن حجم النتائج المتأينة عن دفعها .. تركيبة أدبية ما دام أن الزكاة هي كالصوم والصلاة شريعة إسلامية أقرب إلى الممارسات التعبدية الروحية منها إلى التشريع المالى أو التخطيط الإجتماعي.

بل إن بعض المفكرين الإسلاميين أنفسهم لم يبدوا فيها أكثر من حدود دنيا) يتحتم أن يتجاوزها المسلم إلى مزيد من العطاء، والدولة المسلمة إلى مزيد من الأخذ .. إذ ماذا تعني نسبة الواحد إلى الأربعين في نهاية كل حول؟

وأما تلبث الأيام أن تمضي، وتكرر السنون والعقود، ويتدفق الخير على مساحات شتى من عالم الإسلام؛ ثروات طبيعية وموقعاً ممتازاً وأنشطة اقتصادية وذهباً وفضة وأموالاً .. وما تلبث الأموال أن تتدفق على جيوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وإذا بعض هؤلاء

49
يحسبون النسبة المتواضعة تلك فإذا بها تشكل لدى كل واحد منهم
مئات الآلاف من الدينار بل ملايينها، فكيف بهم جميعاً؟
إنهما - والحق يقال - مبالغ هائلة لم تدر بخلد إنسان قبل عقود قليلة
فحسب ... هائلة بحق، ولن تكون الكلمة مجرد صيغة انشائية
هدفها التفخيم والتضخيم ... فمادماً لو التزم جميع المالكين بدفع هذه
الضرية محسوبة بالضمير المسلم الذي يخلي الله تعالى الفلس الواحد
لأوضح في عهده ماذا لو التزمت السلطات الإسلامية في عصر
الأحصاء، والتنظيم المالي، والهيمنة الإدارية على كل صغيرة
وكبيرة .. عصر الحسابات الدقيقة والمؤسسات المتخصصة
والضرائب، ماذا لو التزمت بأخذ هذه الضرية بالميزان القطط، من
كل من استحقت عليه طراعة أوركهاً؟ وماذا لو قامت أجهزة
متخصصة، ومؤسسات متميزة في تحويل هذه الطاقة المالية الكبيرة إلى
اداء للتنمية والإستثمار من أجل مزيد من الكسب للجهات التي يبيها
كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام من التي تستحق الزكاة؟

نتائج كبيرة بكل تأكيد، إن على مستوى النشاط الاقتصادي للبلد
المسلم أو على مستوى الكفاية، وتقليل الفوارق الاجتماعية
ونشر العدل الذي يضع عليه الإسلام بالنواخذ.

ومن عجب أن هذه الضرية تتحم دفعاً في نهاية كل حول
بسببتها الثابتة على الربح وعلى رأس المال نفسه. ويساءل المرء:
مادماً لو لم يشغل رأس المال عبر هذه السنة أو تلك؟ مادماً لو لم
يستثمر أو يشارك في هذه الجهة أو تلك؟ والجواب هو أنه لا بد من
دفع زكاته في نهاية الحال وبالنسبة الثابتة، واحد من أربعين.

50
ومعنى ذلك أن أي رأس مال مهما كان حجمه، مقضي عليه بالنحت والزوال في نهاية المدة، المفرطة، إلا أن يبرع فيرمي بثقله في مجرد النشاط الاقتصادي، ويغادر عزله، ويتجازر خطيئة الاكتاذ والتكدس، وحينذاك ستتحقق الميزة الأخرى؛ مزيد خير لصاحب المال، وستحقق زكاته وللنشاط الاقتصادي للبلد، ثم لتروته القومية في نهاية المطاف.

وهكذا يتضح - بلغة الأرقام - كيف أن هذه الضريبة التي كان يظن أنها تكلف بسيط يستهدف ما يمكن أن يعد صدقة أو إحساناً، إنها مشروع مالي مركب يسعى لتحقيق أكثر من هدف في وقت واحد ويؤول إلى مزيد منشقة للكافة الأطراف.

إنه هذه الضريبة، شأنها شأن العديد من الممارسات والتنظيمات الإسلامية في سائر مناحي الحياة، كانت مثارة للجدل والنقاش، وكثيراً ما اغتم حقباً، ووضعت في غير مكانها الحقيقي، فما لبثت الوقائع والعطيات أن كشفت عن أبعادها الحقيقية وعرضتها للناس ممارسة فذة، وخططة مرسمة بدقة، وتنظيمها تتوخي خير الدنيا والآخرة، صنع الله الذي اتقن كل شيء.

وتذكر ها هنا أيضاً كيف يكون الزمن، بما يتضمنه من كشف متواصل، ومن تراكم في الخبرة، عاملاً مساعداً على ابراز دقة الصياغة، وإعجازها وبراعتها بالنسبة لجوانب عديدة من الإسلام تأكيداً للأيام الكريمة في سنينهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.(1)

(1) سورة النمل آية 88.
(2) سورة فصلت آية 53.
وهنا في دائرة التنظيم المالي، وهنالك دائرة التنظيم الاجتماعي، أو التربوي، أو التشريعي، أو أي من دوائر الفكر الإسلامي الأخرى...

وتعودني هنا محاولة لصديق يخصص في علم الإحصاء الاقتصادي في إحدى جامعات بريطانيا تستهدف اعتماد نظام هذا العلم وطرقه من أجل القيام بتحليل إحصائي لضريبة الزكاة في شريعة، زمنية ومكانية من عصرنا الراهن والمحاولة لم تستكمل أسبابها بعد ولم تعلن عن نتائجها، ولكن الرجل يأمل في أن يصل إلى ما يؤكد للناس، بالرغم، والمنحني البياني، معجزة الزكاة...
ثغرات في رداء المادية

أيها أقرب إلى الصواب، أن نتعامل الإنسان من خلال موقعه الإنساني الشامل كإنسان، أم موقعه الاجتماعي المحدود كفرد في طبقة؟ وإذا كان افراد بعض الطبّاق يمارسون ظلاً واستغلالاً، فإن ذنب الآخرين الذين ولدوا عن غير اختيار في الطبقة نفسها، ولم يمارسون ظلاً أو استغلالاً، بل إنهم ربما قدموا مجتمعهم وللبشرية أجل الخدمات؟ يسأل جل المخترعين - على سبيل المثال - ينحدرون من الطبقة الباورجوازية، ربما الإقطاعية أو الأرستقراطية، التي صبّت عليها الماركسية اللعنات؟

إن الماركسي المتزوج من هذه الزاوية يقترب، بنزوعه الجبري وعدم اعتياده مكاناً واسعاً لحرية الإنسان واختياره، من المنظر الشوفيني الذي يتعامل مع الإنسان من خلال انتهاكه العرقي الذي لم يكن له خياراً فيه.

إن القرآن الكريم يقوله بصراحة فتلك امة قد خلت، لها ما كسبت ولكلما كسبتم ولا تسألون عنا كانوا يعملون (1) وسواه.

(1) سورة البقرة آية 134.
كانت (الأمة - طبقة أم عرقا - أم مزيجًا من الطبقات والأعراق)، فإن
أية جامعه تنتهي إلى هذه الطبقة أو تلك، وإلى هذا العرق أو ذاك،
ليست مسؤولًا بالضرورة عن أعمال المنتمين إليها كاففة، لأن
القرآن الكريم يعود لكى يضع التبعية النهائية على عاتق الفرد نفسه
ولا تزر وزيرة وزاره أخرى (1) وكل إنسان الزمناه طاهره في
عنقه (2) (3) وأن ليس للإنسان إلا ما سعى
(3).

وإذ هذا يتمكّن التقالك بين الإنسان والحرية، ويكون الاختيار هو
الحكم الفصل فيها يكون للإنسان أو يكون عليه...

أن ينتهي إلى هذه الطبقة، أو أن تكون فرداً في تلك السلالة،
مسألة لا يختار لك فيها، ومن ثم يتحتم ألا يختار على مصيرك من خلال
واقعة جدير كهذه أو تلك.. والحكم العادل تأتي حين ينصب على
اختيار الإنسان وفعله الحري أياً كان موقعه الاجتماعي أو امتداذه
القومي .. في الساحتين، نلتقي بالأخيار والآشر، وتعرف على
حشود الصالحين والطالحين...

والتعليم هو الخطأ القاتل ليس للحقيقة وحدها ولكن لاقدتر
الناس وحقوقهم المشروعة في هذه الحياة..

إن المنظور الطبقي الذي اعتمدته الماركسيه ما يلبث أن يقع في
خطيئة أخرى غير خطيئة التعليم، تلك هي التسليح .. إن الحاجة

(1) سورة الانعام آية ۱۶۴.
(2) سورة الإسراء آية ۱۳.
(3) سورة النجم آية ۳۹.

54
على فكرة الطبقة يدفعه إلى تجاوز التفاوت النوعي للأفراد، سواء كانوا ضمن طبقة واحدة أو عدة طبقات، ويسوقيه إلى تحويل الإنسان إلى رقم مجرد كُبير من الأرقام المصفوفة إلى جوار بعضها.

ومن خلال هذا التسليط لا يضيع ذو القدرات الخاصة والمواهب المتميزة فحسب، بل يضيع الإنسان نفسه بما أنه نسيج معقد متشابك من الطاقات العقلية والروحية والوجدانية والجسدية، بما أنه طبقات متداخلة تبدأ بالقشرة الخارجية للإنسان وتتوغل نزولا باتجاه الأعمق.

إن الماركسية تؤكد على التركيب الطبقي للمجتمع، اهمت في مقابل ذلك التركيب الطبقي للنفس البشرية، فضحت هذه الحقيقة من أجل الطبقة الاجتماعية، واجتذبت تعاون مع القشرة الخارجية للإنسان بعيدا عن طبقاته الأشد عمقاً وتعقيداً.

وليس فقط "جارلس بيغ" و"ماك آينر" كعالمي اجتماع بورغوازين يقولان بأن "ماركس" مارس خطيئة تسطيع النفس البشرية بأكبر ما يحب، بل إننا نجد أديباً معروفًا "كرينشارد رايت"، الزنطي المثبط في مجتمع رأسمالي، اتمنى إلى الشيوعية حينا من الدهر، ثم ارتدت عنها بعد اكتشافه العديد من العيوب والثغرات، نجد هو الآخر ينعي على الماركسية سلوكيها الخاطئ، هذا "لقد كان الشيوعيون - يقول الرجل - ينظرون إلى الجماهير وخبراتهم نظرة أبسط من الحقيقة بكثير، اتهم في محاولتهم تجنيد الجماهير قد ضلوا عن فهم حياة الجماهير فكانوا ينظرون إلى الناس نظرة عامة مجردة أكثر مما ينبغي".

55
ومن حيث أرادت الماركسية الدفاع عن مصالح الجماهير، سلكت طريقةً مثلىً استهدفت منها قمة الخبز، ولكنها سببت شيئاً اغلي بكثير، تميزها الإنساني، وتركيبها النفسي الذي لا يكفي رغيف الخبز وحده، ولا المسكن وحده، ولا أداء النقل وحدها، لأشباع حاجاته وطاعته التي لا تحدها حدود...

التمييم والتسطيح.. ثغراتان من عشرات تختنق جسد الفكر الماركسي وتملؤه بالشروخ والتشققات..

صحيح أنه ما من مجتمع في تاريخ البشرية، بما فيه المجتمع الشيوعي نفسه، يخلو من تميز طبقي، على الاطلاق، ولكن الإلحاح على فكرة الطبقة هذه، التشنج عليها وأعتبارها مفتاح كل شيء، مع الاعتقاد بأنها أبدا الحياة والتاريخ البشريين ومتى ما هو المنزلق الذي قاد الماركسية إلى العديد من الاستنتاجات الخاطئة.

ولقد كان التمييم والتسطيح اثنتين من تلك الاستنتاجات، لم تكونا في نهاية التحليل لصالح الإنسان.

---

(1) عن كتاب الصنم الذي هوى، لأثر كستر ورفاقه، ص 149، ترجمة فؤاد حمودة، الطبعة الثانية بيروت 1970.
تأثيرات السلوك

في حوار مع صديق عائد من الغرب: ما الذي يجعلهم يغرون...

لم تتطرق - بطبيعية الحال - للبعد المذهبي أو الديني، أو حتى التاريخي، فتلك مسائل أخرى قد لا يكون للغربي فيها أي مبرر موضوعي عادل على الاطلاق لهم إلا مبرر الحقد، والملحة، ورد الفعل، والانطلاق الديني، وسماح الانشطة المضادة وخاصة الصهيونية والمادية والتبشير. وما شئنا من سلبيات قد تكون بالفعل الدافع وراء كراهية الغرب الصليبي والمادي للشرق المسلم.

إذا كان الحوار ينصب على نقطة محددة، ونجد أنه في إطارها المحدّد هذا قد يكون للغربي أن ينفر من الشرقي المسلم والعربي على وجه الخصوص، وهو أمر يعرفه جيداً معظم الدارسين هناك من طلبتنا أو الذهبيين إلى هناك من الأساتذة والمحققين والسياح.

بعضهم يميل على الدوافع التي ارتخت إليها قبل غزات، فيحاول بذلك أن يتحايل على الأسباب الأكثر مباشرة وقريباً، وبعضهم يحاول أن يتعامى عنه ولا يكثر به رغم أنه واقع مشهود...

وفئة ثالثة
اقرب إلى الموضوعية واكثر احساساً بضرورة تجاوز «الوضع السيء»

تسعى لوضع يدها على الأسباب للداء المستعصي.

جرننا الحوار إلى تركيز المسألة بكلمتين فحسب؛ تأثيرات السلوك! فإن الشرقي المسلم، العربي على وجه الخصوص، قلما يسعى، وهو يحيا لفترات قد تطول وقد تقصر في لندن أو ادنبرة أو أكسفورد أو باريس أو ليون أو ميونيخ أو روما، أو واشنطن أو موسكو، أو غيرها. للتحقق بسلوك المتحضر، مقبول ولا أقول متدين، لأن معظم المهاجرين إلى هناك ليسوا متدينين رغم أن الدين، هو في ناحية من نواحيه، الضمان الوحيد للسلوك المتحضر الموضوع.

فيمفرادات السلوك الجاف، غير المتحضر، يمارس أصحابنا هناك خطبة فادحة بحق كل ما هو عربي مسلم أو شرقي. إنهم، أو الغالبية منهم بعبارة أدق، يضرون مئات عملياً، يؤكد للقوم، بالنظر والممارس، مدى خجلنا عليهم، مدى جفانتنا المنام على العروق، ويرفع الفارق الكبير بين المستوى الحضاري الذي بلغوه والمستوى المتدهر الذي يخيل اليه من هذه المفرادات السلوكية، أن الشرقي المسلم، العربي على وجه الخصوص يخطوون فيه.

تحدثنا بألمن عن كثير من الحالات السيئة وضربنا الأمثلة على العديد من المفرادات، مارسها هذا الرجل أو ذاك، وقدمتها للخصم وسيلة إعلام سيئة تتتحول على أيديهم إلى سلاح مضاد، وتستر في نفوسهم وعقولهم مزيد كراهية ونفور وزادراء...

58
ليس ثمة مبرر لطرح الشواهد ولا اعتقد أن ذا عينين يخفى عليه ما يجري هناك على أيدي العديد من الدارسين والسائحين في عواصم الغرب .. في المنتزهات والفنادق والأسواق المركزية والنوادي والمسارح والمقاهي والحانات واللباغي والنزهة والشوارع .. وحتى في الشفق وغرف المنازل ..

مفردات سلوكية سيئة، مدنية، جانبية، تحدث عنها الكثير من العاديين، أما الغربيون فلم يكتفوا بالحديث عنها، والتكرر منها وإما تجاوزوا ذلك. بنزعتهم البراغماتية المفعمة المعروفة - إلى استغلالها أدوات دعاية مضادة وإبتزاز الأموال والأخلاق والعقول بل انهم تجاوزوا بذلك إلى نوع من الاستعباد والخيانة يفرضونها على أولئك الذين ارتدوا، بالشهوة الساقطة والسلوك المدنى، أن يغدوا أدوات بأيدي مراكز التوجه الغربي، يدفعون بها إلى الشرق لكي تلعب دورها المرسوم ضد الأمة .. والوطن .. والعقيدة ..

وتذكرنا بأبيه، والحديث يدلف منا من مسألة لأخرى، كيف أن سلاح السلوك المنور هذا كان بأيدينا يوماً ففتحنا به العالم، وكسبنا عقل الإنسان وقلبته، وخففت راياتنا في كل مكان .. وكيف أنه يتحول اليوم إلى سلام مضاد ننشره ضد أبنسنا فتنخر في خرائط العالم، وتزداد انكماشًا وتضاً .. ونرغب على أن نزوى، وسط احساس غامر بالدنهية والمهانة .. أكثر من مركب نقص تجاها كل ما يتعلق بخصومنا أيا كان موقع هؤلاء الخصوم ..

قلت لصديقي ؛ لقد رأيت غامض منهم وهم يتحدثون .. بتهاء .. عيا فعلوه هناك مع هذه الألمانية أو تلك .. وفي هذا البار أو ذاك ..

59
و/^تتنت هذه المناسبة العائلية أو تلك. لقد أصابني القرف والإشمتاز وأنا امتثل ممارساتهم هناك. شيء يثير الاحتفاظ حقاً، وهم أبناء بلدي، محصوبون على الأرض التي انتمي إليها كيف بالخليجيين، كيف بالخليجيين "الخصوص"؟ كيف بأعداء دينا ووطننا إذا نظروا إلى هذه الممارسات الدينية الجافة، البعيدة عن مطالب التحضير، فضلاً عن مطالب الأخلاق والدين؟ ماذا هم متصورون وماذا سي ينبغي على تصورهم هذا من مواقف وأحكام وسياسات؟!
الإيام والمؤسسة

إن الإيام لا يمثل ضرورة عقيدة فحسب، ولكنه يعد ضرورة عملية أيضاً إذا ما أراد للحياة البشرية أن تمضي بيسر إلى أهدافها، وأن تتمكن من تحقيق مهمتها في الأرض.

ضرورة عملية على مستوى الفرد، والجماعة، والدولة، والحضارة البشرية...

ونحب أن نقف هنا قليلاً إزاء هذه الضرورة بالنسبة للدولة، لأن ما كتب وقيل عن الجوانب الأخرى قدّم من الأدلة والقناعات ما فيه الكفاية ويزيد...

إن الإيام يمنح المواطنين الواجب للإنجاز، ويقظة الضمير، والإحساس الدائم بالرقابة الإلهية على كل فعل وممارسة.. وهذه الميزات الثلاث تجيء بمثابة قوى فاعلة، وصمامات أمان من أجل تسير شؤون الدولة ومؤسستها وأنشطتها بأكبر قدر من الدقة والإخلاص والإبداع، والانضباط الخلفي، والروح الإنسانية.

ولن يكون مقدور أي بديل وضعي أن يعرض عن هذه الميزات مهما كان ذلك البديل على قدر من التضحية والدقة والإبداع...
ورغم أننا نعيش عصر التقنية المتقدمة، فإن التقنية التي منحت
الدول قدرات فائقة وإمكانات فذة للرقابة، والانضباط،
والتنظيم، والإنجاز، فإنه لن يكون مستطاعاً أن تفعل عشر
معيار ما تفعله الميزات التي يشكلها الإيمان في عقل الإنسان وحسه
وجدانيه.

وأما أكثر الموظفين والعمال الفنيين الذين لا يقدمون جهدهم كاملاً
خلال ساعات العمل، دون أن يكون بمقدور مدير أو مسؤول أو
جهاز رقابة دقيق اكتشاف نسبة تجديد الطاقة أو هدرها عبر تلك
الساعات وما أكثر الموظفين والفنيين والعمال الذين لا يحسون بدافع
ملجٍ للاخلاص في عملهم أو لانجازهم بالصيغة الأفضل، دون أن يكون
بمقدور مدير أو مسؤول أو جهاز متطور اكتشاف هذا الدافع السليم
واستبداله بما يجعل المواطن متدفناً لتحقيق الالتقان والإحسان فيها
ينجزه من أعمال وما يتلقى من مهام وواجبات. وما أكثر الموظفين
والفنيين والعمال الذين يجدون أنفسهم في مساحات واسعة من
نشاطهم وعمالاتهم، بعيدين عن الرقابة الخارجية، لا تسهم عن
ولاتسعهم أذن ولا يضبطهم جهاز، فيعانون من المسؤولية، وقد
يترسن أعمالاً مضادة للاخلال الأزى بسيرة الدولة وانشطتها.

وهكذا يجيء الإيمان لكي يصنع المعجزة فيبعث المواطن الذي
يتمتع الراحة والضمير والتقوى... وثيد الدولة حشداً من الموظفين
والفنيين وعمال يسعون لتقدم جهدهم كاملاً عبر ساعات العمل،
دونا هدر، أو تضييع، ويشترون لتقدم أساسي ما يملكون من قدرة
على الالتقان والإحسان، ويشعرون دوماً بأن هناك من يرقبهم ويراهن
في كل صغيرة وكبيرة، فيتحاشون الخطأ بالخطأ المقصودة أو
المقصورة، ويسعون لرضاه بمزيد من العمل والاتقان.

٦٢
كثيرا جداً النتائج العملية المتمخضة عن دور الإيمان في تسير
عجلة الدولة وصرف شؤون مؤسساتها المختلفة. ونستطيع هنا أن نشير إلى بعضها فحسب، بينما هنالك الكثير.

إنه يجح أموال الدولة وطاقاتها وقادراتها المادية من السرقة والابتزاز والتفريط.

ويحمي حقوق المواطنين من الأهلية أو الضياع أو تعقيم المصالح والأهواء ...

ويدفع الموظف إلى بذل الجهد الأقصى من الجهد لتقديم أكبر قدر من العطاء، كا يدفعه أن يكون مخلصاً لعمله، أميناً عليه، ساعياً لتقديمه بالحد الأقصى المستطاع من الإتقان والإبداع. وهو فضلاً عن هذا وذاك ينشيء تقاليد إنسانية في التعامل بين كوادر الدولة الوظيفية وبين المواطنين، تخفف كرامة الإنسان وتحميها من الأذلال أو الامتهان.

ومن أجل معرفة تقل هذه المسألة فإن يقدر أي مره أن يتذكر الخط الطويل من الموظفين الذين اضطر للمعامل معهم عبر حياته من أجل إنجاز هذه القضية أو تلك ...

إن قلة من هؤلاء سعت لأن تعينه على إنجاز مهمته بأكثر الأساليب نبلًا وشرفًا ونسائية، ولكن الأكبرية الساحقة، بالعكس، سعت لسبب، أو آخر، إلى عرقلة هذه المهمة واستخدام أكثر الأساليب استفزازاً ودعاة وامتهاناً وبعدًا عن كرامة الإنسان ...

لقد كان المواطن يخرج من كل عشر معارك، إذا جازت التسمية،

63
منتصراً مرة واحدة منهماً، مطحوناً مرات ومرات...
قد يظُن بضنه، وقد ينجذب متهماً، ولكن بعد أن يضمر الكثير.. يقيناً...
ترى لو كان الإنسان يملك حضوره وثقله في مجري العلاقات الوظيفية، أكان يمكن أن تحدث هذه الأساة؟

باختصار شديد، فإن الإنسان يعين الدولة ليس فقط على تحقيق أهدافها بأكبر قدر من النجاح والتفوق، بل إنه يكتنها - كذلك - من احترام حيويات الزمن والمكان، للوصول إلى الأهداف باستمرار وقت ممكن، ويتيج لها أن تستجيب لاصعب التحديات وأشقة فتازاد قوة ومنعة وعطاء...

ولن يستطيع أحد - بعد هذا - أن ينكد دور الإنسان في نشاط الدولة أو المؤسسة، أو ينفي كونه ضرورة عملية تدخل في تسيج النشاط العام وتلعب دورها في النتائج المتوقعة على أرض الواقع.

إنه - أذن - ليس ضرورة عقيدة فحسب، يقضيها الوضع البشري في العالم، أو تحتمها الحقيقة الكونية التي تشير صباب مما، بألف شاهد ودليل، إلى حتمية الإنسان باعتباره الصيغة الأكثر صدقاً، بل الصيغة الصادقة الوحيدة لعلاقة الإنسان بما يحيط به من حقوق وظاهر وموجودات.

ولكنه ضرورة عملية - كذلك لسنا قبل لحظات جنباً من مردونها الكبير، يعرف الإنسان كيف يكون أشمار السلاح بوجه الإنسان، ووقفه عن الفعل والتحقيق، أو حجبه عن العمل في واقع الحياة.

٦٤
العامة، موقفًا خاطئًا من الأساس قد يحمل نزعة انتخابية، لأنه يتحرك ضد مصلحة الإنسان ومصلحة مؤسساته.

هذا على فرض تسليم بالدليل البري، لهذا الموقف. ذلك أن معظم هذه المواقف التي تتصدى للإيام، وتسعى إلى عرقلة حركته ووقف فاعليته، إنما تعمد هذا هدف مرسوم لا يجد المرء حسوبه في تلمس أسبابه ودوافعه!!
قد في صورة ما بعدها يحاولون عبر نزاعهم إلى بعد الأموال.

هذا يعني أنه ينبغي لنا أن نكون على دراية بالقانون، وثمة رجوع إلى الله في كل شيء، فلكن لا يمكننا أن نسئل الله إلا ما هو متعلق بالنفس، لما نحن بحاجة إلى العلم.

لا يمكننا أن نسئل الله إلا ما هو متعلق بالنفس، لما نحن بحاجة إلى العلم.
وسيكون سعيداً

حدثني أحد أصدقائي الأدباء عن معاناته القاسية وهو يمارس الكتابة منذ أكثر من عشرين عاماً، وأن معاناته هذه لم تبلغ ما بلغته عبر السنتين الستين.

حاولت أن أطمئنه بأن كل الذين يكتبون يعانون، وأنه عذابهم اليومي، ولكن النتائج الطيبة كثيراً ما تسهم بإيال.

ابتسم بمرارة وهو يقول; لا ليس هذا !!
· ماذا تعني إذن؟

فبتهدأ عميقة انتزاعها من أعماله قال؛ الأحساس المرير باللاجدوني .. وواصل كلماته بالمرارة نفسها؛ لا تتصورني سأخرج جلًا وبشارات تقليدية عندما أاسأل؛ علام نكت؟ ولن؟ ولماذا؟ لأن هذه الأمثلة بالنسبة لي على الأقل أتصحت أشبه بالبقر الذي يكوي أصابعي ويدصني عن الماضي في الكتابة .. إنني موقن الآن حتى أعمق طبقه في وجداني بأن ليس ثمة جدوى من الكتابة على الأطلاق .. فما الذي تنتظره من تأليف كتاب واحد أو عشرين كتاباً؟
لا شيء!! وهكذا تزاي منذ شهر، وأنا لم احاول أن أكتب سطرًا واحدًا أحدهما

كرت اعرف تماماً أنه لم يخرج بهذا التوقف عن دائرة العذاب فسأله، وهل تحس الآن أنك سعيد بعبارة أخرى؟ هل تولتك بالتوقف عن الكتابة إلى حالة؟ أفضل؟ أي نوع من التوازن أو الامتلاء، أو الاحساس بطم الدنيا والأشياء؟

إجاب وهو يدرك تماماً ما الذي اقصده؟ أبدأ... فإن شبح اللاجذوقي ظل جالساً على صدرني كأن كان من قبل، وانضاف إليه تقل آخر... شبح ثان لا يقل عنه أثارة للتعاسة والمرارة والشقاء... إنه المسلم...

ومنذ زمن بعيد وأنا أعاين صديقي هذا، حيث كنت أتردد عليه بين الحين والحين، يكتب فهو شقي، لا يكتب فهو تعيس... يدخل في دوامة العمل الذي ينسى فلا يقدر... يخرج إلى متاهة التبول والفراغ فيداد قلقاً وتأزماً وساماً.

وها هو الآن يصارح بأحساسي بلا حدود الكتابة إلى دائرة وسعتشمل وجوده بالكلية... إنه الأحساس بلا حدود الحياة... وها هو ذا يقوله بصراحة علام نحيا ولم ولدنا؟ ولماذا غرت؟ بعد إذ بدأ من سؤاله المحدود ذاك؟ علام نكتب وما هو الجزء؟

والسؤال - إيجاب شديد - ليست مشكلة معقدة مستعصية على الحال، ولا هي - كما حاول الغربيون أن يصوروا - معضلة فلسفية تكتب فيها الكتب وتصنف الأفكار والفلسفات إنها أوضح وأيسر

98
وأقسم من ذلك بكثير . . وهذا الرجل الذي تعاظره اللاإجودي
كواحد من عشرات ، بل مئات والوف ، أراه أمامي بوضوح ، ومن
خلال تجربته المظلمة وسلوكه الملموس ، عبر كل جزئيات حياته التي
اعرفها جيداً ، والتي استطاع أن يضع يدي على سرّ مأساتها وأقول :
هنا ، دون أن اجدني مضطراً للرجوع إلى كتاب واحد أو فصل من
كتاب حاول فيه المؤلفون الضائعون أن يخلعوا الأزمة ، وينظروها ،
ويعضوا لها المبادئ والغابات ..

إن الرجل غير مؤمن بالله !

هذه هي المسألة باختصار .. ولقد قالها هو بنفسه ، قالها أكثر من
مرة ، وعمر عنها في مياوامته اللحظة بعد اللحظة ، وقال كذلك أنه
يتمثِّل ان يكون (مؤمناً) ولكن لا يستطيع .

ومن يدري ؟ فقد يجد الإمام في يوم قريب أو بعيد كا وجد مئات
من الذين بدأوا الطريق ذاته ودفعتهم المعاناة المبهجة إلى اللجوء إلى
الله ، وأصبحوا سعداء متملئين متوانين .. واستمروا على العطاء ،
بعد إذ كان الإحساس بالاقدو يسكن عليهم الطريق ويكنهم عن العمل
والسعي والإبداع .

إنها كلمة السر والمفتاح والإشارة الضوئية التي تمنح الإنسان القناعة
والراحة والقيان ، وتدفعه إلى العالم متحرراً ، نشطاً ، مبدعاً
وسعيداً .. تطعه كذلك الخرائط الإلهية الدقيقة التي تبين له أين عليه
أن يسير وابن عليه أن يوقف ، وأيّة من الطرق يتحتم عليه أن يجتازها
وصولاً إلى مصيره المتوحّد الفريد .

إن كل جزئية من جزئيات الحياة الخاصة ستجد مغزاها في

29
لإيمن، وكل سلوك مهما صغير أو كبير سيجد معناه في الإيمان.
وكل عطاء أو إنجاز أو إبداًج سجد هدفه في الإيمان. وكل كلمة
تكتب أو كتاب يؤلف سجد جزاءه في الإيمان.
إن هذا الإيمان المتآكل الذرك يضيء حياة الإنسان وينهجه الطريق،
يغطيه في الوقت نفسه الأحساس المقين العميق بأنه ما من صغيرة أو
كيدة مارسها، عن قصد، إلا وهي عصوبة بحاسب.
إن الإيمان إذ يربط معطيات الإنسان بفكرة الثواب والأجر
والآخرة، والخلود... إنه إذ يضع الإنسان في مقابل مبدع مع الله
جل وعلا... إنه يمنحه الطامثية واليقين في أنه ما من شيء باطل في
هذه الحياة، ما من سعي ضائع إبداً... وأنه مكتوب عليه أن يواصل
العمل والعطاء، ليس من قبل ملا الفراق، وكسر جدار السلام
وإثبات الوجود المحدود، ولكن لأنه كإنسان مؤمن يتحتم عليه أن
يواصل السعي قبالة الله سبحانه... أن يزرع الفسيلة المخضرة التي
يحملها بيده حتى وهو يستمع إلى النفس الأخير... إلى صور يوم
القيامة، كما علمه رسوله أن يكون!
أردت أن أقول له هذا، أن أشعر بهائي سعيد إذ أكتب، وأنه ما
من كلمة أعطى بها بيميني إلا أنا مسؤول عنها أمام الله، وهي بدورها
محسوبة لي هنا وهناك، وأنه لم يتبني، لحظة، هذا الأحساس
النس باللاجدوى. على الاتفاق...
ولكنني ترتدت، وقلت في نفسي: ما دام الرجل لم يمتلك بعد
كلمة السر، لم يتسلَّم المفتاح، فلن تجد له الف موعظة أو الف
تجربة.

٧٠
وَيَقِينًا فَإِنَّهُ سَيُعْثِرُ عَلَى الْكَلَّمَةِ، وَسَيَجَدُ الْفَتْحَ، وَسَيُبَيْنَ سَعِيدًا ... فَإِلَيْهِ كَثِيرٌ وَسَيَفُعَلُّهَا بَعْدَهُ كَثِيرٌ وَلَن يُضِعَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُخْتَصِئِينَ فِي الْظَّلَمَاتِ!!
المتفقون من الجنة

وهذا نوذج آخر يتحرك في طريق معاكس تماماً، شأنه شأن كثير من خاصوا التجربة نفسها ...

أديبٌ هو الآخر.. كتب العديد من القصائد ونشر العديد من الدواوين.. بدأ بالإيمان ولكنه ما لبث أن وجد نفسه ينحدر سريعاً صوب مواقع النفاق، فالكفر، فالأخلاص!

حاصره الكبت والمغربيات، طاردته المرارات والاحباطات التي يعانيها المؤمنون في عالم لم يعد يأبه بالإيمان.. فلم يقدر على المقاومة واستسلم بيسر وسهولة.. وإنزلق الى حيث يتوقع أن يجد بغيته.. أن يتجاوز الخصار.. وأن تكف المتاعب عن ملاحقته.

ترى هل قادر على تحقيق الهدف، وقبض ثمن التسبيب والإبلات؟

ابداً، فها هو ذا بحس الشاعري العميق، وبوحدانه الذي لا يكف عن الخفقان وبأعصابه التي غدت لفرط حساسيتها اشبه بأسلاك الكهرباء.. ها هوذا يدرك تماماً أن الحياة الدنيا أصبحت فرصته
الوحيدة، وليس ثمة فرصة أخرى وراءها على الاطلاق. وأن عليه أن يسارع فيما تبقى له من عمر، وفيها احتفظ به من طاقة وحيوية لاهتال الفرصة المحدودة، المنصرمة، قبل فوات الأوان.

وإذ كان ما تبقى قليلاً تافهًا. مجرد سنوات فحسب وتحين الشيخوخة والذبى، وإذا كانت الطاقة المتاحة محدودة هي الأخرى، مهيدة بين حزام واخرى بالاغلال والتلاشي. فإن الرجل ما لبث أن وجد نفسه في معادلة صعبة، بعبارة أخرى: في مصيدة وضع نفسه بإرادته فيها، ولم يعد يقدر على الخروج منها، بل لم يعد يجرؤ على أن يقول لأحد من الناس: هات يذكر لكي اخرج من الفخ.

وأنا والحق يقال: فأخذ الذين حادوا كالأنثى الجارحة، تدخل في اعماق اللحم وتهزّع إلى النسيج الأعضاء، يمرخ الإنسان ويجعل حياته جحيماً!

أهاليٍّ. كنت أراها، أستمع إليه، أو أقرأ له، أو أسمع عنه. كنت اجده في كل الأحوال يركض بسرعة تفوق طاقته من أجل وضع يده على هذه اللقمة أو تلك. من أجل تطمين هذه الحاجة التافهة أو تلك. من أجل اطفاء هذه اللزجة الموقعة، أو تلك. من أجل نيل هذا المكاسب الحقيق أو ذلك.

يركض إلى حد اللثات، فقد يصل حيَّاً وقد لا يصل احياناً، ولكنه ما يثبت أن يعيد الكرة وأن يستأنف السباق والمجون ببطاقة لا تقدر على تحمل جنون يستفزه زمن منصرم وعمر ما حدد.

ثم هو مع من يسباق؟ مع أناس يفوقون قدرة ويزيدون عليه طاقة

74
ويصغرونه عمراً ... مع أناس قد يكون أمامهم من الزمن فرصة أوسع بكثير من هذا الذي يدلف إلى الوجهة ويوشك أن يبلغ حافتها ...

وهذا التقابل الذي ليس في صالحه يزيده جنوناً ... ويدفعه إلى مواصلة الجري لأنه ما من فرصة أخرى غير هذه السنين المحدودة ...

وهو كشاعر يعرف أكثر من غيره ، أن على الإنسان أن يتحقق بأي شيء ، مهما يكن تافهاً ، من أجل أن يفيد من الفرصة التي منحت له.

أبداً ما خطر على باله يوماً أن الصفقة ، بصيغتها هذه ، ما هي في صالحه على الاطلاق حتى ولو احتمسناها بحساب المصالح وقساها بمنطق المقاولين والتجار ...

إن التنزال عن الإنسان يعني التشتيت والدمار ... وبدونه لن يحظى الإنسان ، والإنسان الحساس على وجه الخصوص ، بتوازنه وتوحده على الاطلاق ...

مساكينهم أولئك الذين يتنازلون عن مواقع الإنسان ... يتخلىون عن المساحة الشاسعة الممتدة في الزمن والمكان لكي ينحسروا في الجحور الضيقة ... في الزوايا المعتمة ، بحثاً عن لقمة أكثر دسراً ، واشبع لشهوة أشد الحاجاً ...

ثم ما تلبث المحاولة أن تتكشف عن فراعن غنيف ، محزن ، وعن اختيار بليد لم يملك أصحابه ذرة من ذكاء ... فأين هو الإنسان الذي يتحرك على مدى الكون من ذلك الذي

75
اختار أن يزحف كالحشرات في الجحور والثقوب اللزجة، الرطبة، المعتمة؟

ولذي لأشهد بين الحين والحين، يحاول أن يقتصر ابتسامته مصطنعة، مرسومة بصعوبة، يضعها على وجه البائس التعيس، مجرد ديكور يغطي باهيته المحلة التي وضع نفسه فيها...

وكنت احتساب دائياً، أنا أراه فأقارن مع صاحبه الذي يخارته اللاجدوي، إنه أكثر تعاسة منه(1). فذاك قد استسلم لنوع من الأجل الذي هو إحدى الراحتين، أما شاعره فإنه لا يزال يترقب في كل لحظة. لا يزال يركض فلا يقدر على اللحاق، لا يزال يلهث بكم يسيل لعابه وهو يرثى إلى هذه اللصلة الدسمة أو تلك الشهوة المغرية فيهرع إليها...

وأما دائم اغراوات كهذه تتجدد لحظة بعد أخرى، فإنه مكتوب عليه أن يواصل اللهاث ثم يلبث أن يجد نفسه غير قادر على الوصول، فتقد له الخسرة ويدلخ إلى ساحة الفناء وهو يشدو احساساً بالحرمان من المؤمنين أنفسهم الذين اكتشفوا بالقدر المعلوم من المبلاطات...

مسكن هو شعرنا، إنه يمثل بنجنبة الكلمة صيغة معاكسة تماماً لتجربة كاتبيها ذات. كلاهما يعانيان من مرارة انعدام اليقين...

ولكن الأول قد يصل يوماً، أما الثاني الذي اختار أن يتنزل عن موقعه كمؤمن، فكيف سيتاح له الرجوع إلى الجنة التي نفي نفسه منها. كيف؟

(1) انظر مقال (.... وسيكون سعيداً).
لنحاول أن نجرب

هل جرب أحدنا أن يؤمّم حياته ووجوده وتجربته الذاتية وباطنه ظاهره؟ الله؟

هل أحس أحدنا بالطعم العذب، والنكهة الحلوة، والإنقاذ المتفرد، والفرح الطاغي، والإستقرار، والتوحيد، والأمن.. وهو يمارس المحاولة؟

هل قدر أحدنا على تجاوز الحزن، والقهء، والأسى، والندم، الخوف، والممزق، والشقاء، والضياع.. وهو يبحث نفسه بالكلية لبارتها يفعل بها ما يشاء؟

لا اعتقد.. خصوصاً ونحن نعيش عصر العدة المادية، والتكتير، والأخلاق إلى الأرض.. عصر صراع المصالح، وثقلة الشهوات، والأرتكاس في حماة الأهواء والظنون، والإشارة والإغراء ..

عصر الخوف، والقلق، والحزن، والممزق، والضياع.

77
عصر الاستناد الفكري والنفس والاجتماعي والسياسي
والعقدي.
عصر الطفيلي والإستبداد، وتعبيد الناس بعضهم لبعض، أو
تبددهم مصالحهم وشهواتهم وأماناتهم وأهوائهم...
العصر الذي تئاويته في الجدران الفاصلة بين الإنسان وبين
السياح، وأخذت تزداد سمكاً وخلاياً يوماً بعد يوم.
مع ذلك .. بل من أجل ذلك، كان لا بد من المحاولة، مهما
كلفها من جهد ، وطلبت من مشقة، واقتضت من تضحية . لابد
من المحاولة كي يكسر الإنسان الطوق، ويفتح ثغره في الجدار
ال كالح، ويتتجاوز الحصار المصرف ..
ولن يكون ذلك مستحيلاً أن صدق العزم وخلصت النية .. وقد
فعلها قبنا كثيرون وفعلها اليوم كثيرون .. وسيظل الكثيرون
يفعلونها لأن الثورة الحولة تستحق التضحية والمشقة والفداء ..
أن نؤمن وجودنا لله بالمحبة ، أو بالتفكير ، أو بالذكر ، أو بالعمل
ا، أو بالجهاد .. أو بالشهادة .
كثيرة هي أبواب التأميم .. وهي تدعونا كلًا من حيث يقدر عل
الاستجابة للنداء، ويعتقد أنه جدير بتنفيذ مطالبه، والتحقيق به
وعنوانه إلى حياة واقعة تعايش ، ساعة بساعة وحظة بحظة .
إن الإسلام يسبب من واقعيةه، ويسره، وانطباعه الباهر على
قدرات الإنسان وامكانياته، لا يلزم اتباعه بالصعود إلى هذا الأفق

78
الذي قد يتكفل مشقة وجهداً ... ويزعم دونه خطأ قريبًا من متناول الإنسان هو خط الإيمان ...
لكنه لا يقف عند هذا الخط، بل يعقب بخطوات أخرى، وينادي الإنسان المسلم بلهجة مترعة بالوعد والإثارة، أن يتحرك لعبور هذه الخطوط صعداً باتجاه القمة ...
إن التقوى هي الخط التالي، باتجاه الإحسان ... هناك حيث يقف الإنسان، صباح مساء، قبالة الله سبحانه، نازراً له حياته، ووجوده وطاقاته ومغزاه كاففة، أي مؤمنًا له الفرصة الوحيدة التي منحها الله إياه في هذه الأرض لكي يختبره ويلوه ...
والإسلام، بسبب من واقعته وسبره، يفتح الأبواب على مصاعبها أمام الإنسان المسلم، لكي يتحقق هذا الهدف العزيز فيختبر الخطوط، يصل، معاناً مصيره المفرد السعيد ...
فمن حيث يمتلك هذا الإنسان مقدرة، أو أبداعة، في جانب من جوانب الحياة، يستطيع أن يطلق إلى هدفه الأمول، عبساً ما يتمحص على تلك المقدرة، مؤمًا بإداعه في مجرى الفعل الإيماني الذي يتحرك صوب الله بانتظار لحظة المقابلة الفذة ...
وهكذا يكون تأسيس حياة المسلم بالمحبة لن يفوت قلب بالغش ...
وبيتكشر من يملك عقلًا فذًا، وبيصرة نافذة، وإدراكًا بعيدًا ...
وبالذكر لم يخفق قلبه وعقله وجذبه دومًا بإيقاع دائم واحد، يوجد الله القادر المدير، المهيمن الفاعل، المريد ... وبالعمل ...
أياً كان هذا العمل، لمن يبرع في هذا الجانب أو ذاك من جوانب
القدرة على الفعل، والتفاني، والإنجاز، وبالجهاد، من يقدر على حمل السيف والتجوال في أطراف العالم لمجابهة الكفر وجعل كلمة الله العليا، وبالشهادة، لم يعرف كيف يقابل الموت في مطية ركضاً إلى الجنة!

ليس ثمة درب واحد لتأميم الحياة، والتحقيق بالإحسان، والتقابل المبدع مع الله، وإذا هي دروب وطرقات شتى، كل حسب قدرته، كل وفق ما بنحى الله سبحانه من قدرات وطاقتان، فلَّا يكلف الله ناساً إلا وسعها؟

هكذا لم تكن هذه المحاولة، كما لم تكن آية محاولة أخرى في دائرة هذا الدين، لفزةً محراً وأمراً مستحلاً، وإذا هو الطريق المفتوح، والهدف المحدد الواضح، والأعانا على الوصول، بشتى الدوافع والمحفزات.

هكذا وجدنا عبر تاريخ الإسلام الطويل مئات بل ألوفاً من هرعوا للسير نحو الهدف العزيز، وهم رغم ما لبّلوه من جهد وعانتوه من مشقة، كانوا يجسّدون دوماً أنهم سعداء متوحدون، قديرون على التحقيق بالفرج والأمن واثقون من أنهم سيصلون قصر الوقت أم طال.

واليوم يغدو الهدف أكثر اغراةً، رغم أنه يتطلب جهداً أكبر بكثير، وأصعب بكثير، لكنها الثمرة الحلوة التي تفوح عطرًا وتقطر عسلًا، والتي تستحق الجهد والعناية في زمن الجدب والعتمة وعصر الآلام والمرارات.

(1) سورة البقرة آية ٦٥.
دراما الحياة

إذا أردنا ان نكتشف تجربة الحياة البشرية بعبارة واحدة .. الحياة المترعة بالأخذ والرد .. بالخير والشر .. بالانتصار والهزيمة .. بالفرح والحزن .. بالضحك والبكاء .. بالإشراف والغم .. بالإقحام والإحجام .. بالانتشار والانكماش .. بالفاعلية والضمور .. بالتماسك والانسحاق .. وسائر الثنائيات والتناقضات التي تحفل بها حياة أي واحد منا .. 
إذا بحثنا في تجارب الآخرين من لعبوا دورهم في مسرح العالم ووضعوا بصماتهم على صفحات الحركة التاريخية ، ودونوا سيرهم الذاتية ومذكراتهم .. 
إذا قرأنا فكر المفكرين وفلسفة الفلسفة وأدب الأدباء في عشات المؤلفات ومثنىها وألوفها .. 
إذا توغل كل واحد منا في تجربته الخاصة ومارس ما يسمى بالتأمل الذاتي أو الاستبدان لاكتشاف سر التجربة ومفتاح الحركة في الأعمق ..
إذا فعلنا هذا وذاك بحثاً عن عبارة واحدة تكون بِتَأَبِيَّة العَلَامَة
الأكيدة على صيغة الحياة البشرية ونسجها .. فإننا لن نجد ابْدَع
واروع وأعمق واسمه من الآية القرآنية (فَإِنَّ عَلَيْهَا فَإِن
مع العسر بسرا ) (1) وذلك هو اعجاز الكلمات عندما تصدر عن
صانع الكلمات والتجارب على السواء.
ثمّة تطابق هندسي باهر بين الكلمة والتجربة وفق إشد الصيغ
اقتصاداً وتركيباً وقدرة على التعبير ..
إنها - في الحق - ( دراما ) الحياة ، ومقولتها التي يعرفها كل واحد
منا والتي تجيء بتجارب حياتنا بمذاقها الحلوة والمريرة في كل يوم ، بل في
كل ساعة ودقيقة لكي تكون مصدقاً لها وتأكيداً
إن قراءة هذه الآية والتعمق في مدلولها يمنحنا - إذا صبح التعبير-
نوعاً من التطهير (الكاتارسيس) الذي كانت منحه التراجيديات
اليونانية للمشاهدين .. التعامل مع الحزن المتنور والحنين المشاهد
لاستخرج الحزن والحنين من الأعماق ، وطردهما والنفوذ عليها ..
إن لصوص التعاسة والشقاء والإهتام في منجنيات نفسه ودورها
كثيرون جداً .. وما لم تحول الأشباح إلى شخوص مريئة ، محددة
الملام والسمات ، فإنه يصعب القاء القبض عليها وسوقها
للمحاكمة وإصدار الحكم المناسب ، والإحساس - من ثم - بالأمن
والسعادة والثقة واليقين ..
إن قراءة هذه الآية تمنحنا نوعاً من الانشقاق على الذات .. من

(1) سورة الشعراء، الآيتان 6-9. 87
التحرر منها والإستعلاء عليها، والقدرة على معاينتها من الخارج وهي تتقلب بين السعادة والذنب، بين الفرح والحزن، بين النور والظلمة وحينذاك لن تأسرنا حشود المتناقضات، ولن يحققنا سيل لا أول له ولا آخر فيه الثنائيات التي تحكم حياتنا من أول لحظة للوحي وحتى يغيب الإنسان في التراب.

بل على العكس، أن إدراك سر هذا التقابل المشحون في صميم الحياة وفي أعماق التجربة يمكن أن يقود إلى الحكمة التي جعلت حياة الإنسان معجونة بالثنائيات.

إنه بلحظة الموت أو المحرق الذي يدفع حياة الإنسان فساداً صوب الأخلاق والأوقال، إنه بلحظة قرار فيها متنازلة لاختيار الإنتقاء، وقائمة منوعة بالفرادات لن يتفاوت منها إلا الذين قدروا على فهم السر وصاغوا منها قصائد حياتهم المترعة بالقيم والكفاية والجهد والتعليم.

وعندما تصدر مقوله كهذه عن خالق الإنسان جلت حكمته فلنا أن نتصور مقدار الحرية التي تمنحها إياها، نحن نظن، لعجزنا وجهلنا وقصورنا، أننا قد انتهينا لدى كل نازلة، وتفتكنا عند كل مصائب، وانسحعنا تحت كل ضربة، وهزمنا إلى الأبد أمام هذه المحبة أو تلك.

كلاً فإن ما يقابل هذا في مجرى الحياة نفسها حشد آخر من معطيات الكسب والإنجاز والانتصار والتماسك والتحقيق والتجاوز، لمن يقدر على استلهام المصائب والتواصل، ويوغل في صميم المحن والضربات، ويفبل التحدي.

83
فقط لم يدرك أن (دانيامو) الحياة البشرية ومفتاح قدرتها على
التمضيق هو هذا التقابل بل الأبدي بين العسر واليسر.
ليس ثمة «عصر» ينوه بكلله علينا فيسحقنا إلى الأبد...
وليس ثمة «يسر» يفتح احضاره الأبدية فيسينا ويطغينا...
لكنه الشد والذحب الذي يجعل الشخصية البشرية في حالة وعي
 دائم، وقدرة مستمرة على المجابهة والفعل والتجاوز والعطاء
 والإبداع...
وإذا كان بعض الكتاب الموجودين في الغرب قد رأوا أن الإنسان
مغبون إذ قدّر عليه أن يؤخذ بسلسلة من الأفعال وردودها وأن يقدّد
بأسلوبها. وإذا كان بعضهم الآخر قد أعلن بأن ضياع الإنسان
يكون في أنه يعيش أبدا حشدا من التنافضات النفسية...
فإن الآية القرآنية بنطقها المعجز نجوى لكي تكتسب هذه الرؤية
السوداوية وتقدم بدلاً منها «موقفاً» شمولياً فاعلاً يكشف تجرية
الحياة المعقدة المشابكة بعبارة واحدة، ويمحها القدرة على التجدد
والانبعاث والفاعلية...
بالعبارة نفسها... وصدق الله العظيم.
الصلاة المحدودة ...

ما أروع الصلاة عندما تمارس في صيغة التحدي! هل جرب أحدكم أن يثبت واقفاً من بين حشود المجتمعين في هذا الحفل أو ذلك، لحظة سماع الهداء، لكي يقف شاغراً في جانب من المكان ويؤدي صلاته أمام أنظار مئات من الناس قد تدهش للموقف، وقد تسنكره، وقد تعجب به في سرّها، وقد يكون من بينها من هو ملتزم بأداء الصلاة يوماً يوماً إلاّ أنه تكون هكذا أمام جموع الناس وفي حفل كبير يحمل حبه.. وقديسه؟!

هل جرب أحدكم أن يخترق هذه القداسة الوهمية، وأن يتخطى الحواجز النفسية والاجتماعية والمادية، لكي يقف، بزهو حقيقي، أمام الله وحده، ويبعد منه القدرة التي تكسر الحواجز وتتجاوز المألوفات؟ إنها حقاً لتجربة تعلم نفس الإنسان المسلم بالعزلة والإستعلاء، وهو يجد نفسه قديراً، لحظة الهداء، على الاستجابة، متلذاً على المكشوف مطالب الهداء ومفرداته، متحققاً بمغزاه ومعناه؟

85
إننا نسمع المرة تلو المرة هذا النداء ، خمس مرات في اليوم ، لكن
الإلف والعادة كثيراً ما تطمثان على الله وتغطيان على جرائه المتوقدة
كالنار

حتى تأتي اللحظة ، أو التجربة ، التي تتكسر فيها القصور ويغيب
الإلف والأعتيد وتكتشف الكلمات على حقيقتها كما صبعت أول
مرة ...

في مناسبات جماعية كهذه ، يقل فيها المؤمنون ، ويكشر فيها
خصوم الحق ، يمكن أن يحظى الإنسان المسلم بلحظة سعيدة ،
متوقدة ، كهذه ، وهو يتلقى الكلمات فيجد نفسه قديراً على
الإستجابة ... قديراً على التحدي ...

الله أكبر ... الله أكبر ... فليس ثمة قوة في العالم ، بما فيها قوة هذا
الحضور الجماهيري الوعود ، إلا وتنضاءل وتنحسر أمام قوة الله
فتفقد سحرها وهبها

أشهد أن لا إله إلا الله ... فليس ثمة إلا الله وحده من يستحق
الشهادة ، ويوجب الطاعة ، ويفرض الحضور المرهب ... ولن يكون
أحد غيره ، كأحد من كان ، وأياً ما كان ، بقدر على أن يوجب عن
الإنسان المومن حق التوجه لله وحده ، والتعبد له وحده ،
والإستجابة لندائه وحده ...

أشهد أن محمداً رسول الله ... فها هوذا الرسول المعلم يقودنا عبر
الطريق ، دقيقة بدقية ولحظة بلحظة ، فإذا كنا نشهد حقاً برسالته
عن الله فلستنج بنداء ، ولنرجع قامتنا عالية لكي تكون بالحجم
الذي أراده لها رسول الله!

86
حيّّ على الصلاة .. فِيها هِيّ ذِي اللحظة التي تتحتم فيها ، وها هو ذا النداء يحمل مغزاه الواضح ؛ صلة بالله الأكبر من أيّة قوة في العالم .. الواحد الذي تنحسر إزاء وحدانيته المطلقة ، وتتساقط كافة الرمويات والصوانيات.

حيّ على الفلاح .. وهل ثمة من فلاح يروف الإنسان أكثر من هذا الفلاح المتمثل بالذهاب لمقابلة الله لحظة النداء ، دوماً تأخر أو تسويق من أجل السعي لكسب مثوبته ورضاه .. الكل ذاهب .. زائر .. إلا هذا!!

ويعود النداء لكي يذكر الإنسان ثانية بان الله أكبر ، وأنه لا إله إلا هو!

حينذاك لن يكون مقدور الإنسان المؤمن أن يهـض واقعاً فحسب ، وأن يجد مسلكاً ضيقاً صوب مكان يبتـْح له أداء الصلاة في وقتها فحسب ، ولكنه يكون مستعداً أن يشيّع على الرؤوس التي اعتدت أن تطأه الأوهام ، والتي ما قدرت يوماً على أن تكسر الحواجز المصصعة وتنجيب لنداء الله ..

تلك هي متعة الصلاة المتحدّة ، ودفقها الروحي ، وامتلاها الوجدانى ، وتحوّلها إلى معايضة نكرية واضحة لا تقبل خطأ بّأي شكل من الأشكال ..

الصلاة عندما تقام بواجهة أكثرية لا تعرف الحق ، أو هي تعرفه جيداً ، ولكنها تجنب عنه ، وتتردد إزاءه ..

الصلاة عندما تكون شهادة منظورة ، واستجابة على المكشوف ..

87
لما يحمله النداء اليومي من معانٍ.

ويعرف الإنسان كم يخسر المصلون وهم يفوتون على أنفسهم فرصة فريدة كهذه، فيجعلون صلواتهم حين انتهاء المناسبة وارفضائهم إلى البيت...

إنه في الحقيقة، سيخرون مرتين، مرة بتأخيرهم الأداء عن موعده المحدد، مرة أخرى بضياعهم فرصة التحدي من خلال شعيرة قد تبدو في الأحوال الإعتيادية مجرد ممارسة روحية صرفة... ولكنها هنا قد تتجلى أكثر على حقيقة أنها رفض للعبودية أية كانت صيغها وإشكالها... وتحرم وجدان حتَّى الأعمق!

٨٨
التكتيك على الدين

عندما تجد بعض التجارب والإيديولوجية المادة نفسها مضبطة للرجوع إلى الدين في ظلات المصير، وعبر الأزمات التاريخية، كما فعلت روسيا أبان الهجوم النازي الكاسح، لمجابهة الخطر باطلاق الطاقة الإيمانية في نفوس الجماهير وتحفيزها على المقاومة والصمود.

فأما الذي يدل عليه هذا سوى تأكيد مشهود على عمق الحقيقة الدينية في نفس الإنسان، وثقتها، وتقوتها على كافة محاولات المحقق الإيديولوجي وعمليات غسيل الدماغ؟

ومندما يتفسد الحمس الدينى وينتشر كالكهرباء عبر جيل كامل من أبناء دولة ماركسية كبولندا، دأبت أكثر من أربعة عقود على استثمار زيناهر للدين في نفوس الجماهير بقوة السلطة.. بتأثير أجهزة الإعلام.. بالتوجيه التربوي، وبكافة وسائل التأثير والاستثمار.. حتى كاد المرء أن يصدق بأنه ليس ثمة رجوع بعد اليوم لأي ظاهرة من ظواهر الدين جيل إبتُثت جذوره بالكلية عن الدين الذي تعمى إليه أباؤه وأجداده، بل إنه أصبح يعاني - إذا
صح التعبير - من فقدان الذكاء أزاء كل مفردات الدين، وتجاربه ومضايقاته ..

فأنا الذي يدل عليه هذا سوى أن الظاهرة الدينية اقروي وعمق، وأكثر امتدادًا في عروج الإنسان، وتشاكله مع نسيج العقلي والروحي والوجداني من أية عقيدة أخرى تسعى تحت أية شعار كان، لكي تريح الدين وتحل محله!

والقياس الماركسي تعرف جيداً أن أي إنجهان أمام الظاهرة الدينية، أو قول بمرورها، ولو في جزئيات وتفاقي، يلي من الأساسي مع الأمثلة، ولذا يتحاورون على هذا التناقض فينجزون المحاولة (نكتيكة)، ويقولون بأن (التكتيك) هو غير الاستراتيجية، فقد القائمة تحاول manipاللمسائل الأساسية بعيدة المدى، وتستمد خطوطها وتكيونهن من المبادئ الدينية نفسها، إما (التكتيك) فهو إجراء موافق قد تدفع إليه الضرورة لدرجة خطر ما، أو تحقيق مصلحة، ثم هم، بعد ذلك - في حل من الاستمرار عليه، خاصة أنه قد لا ينجم ويتناقض مع الإيقاع العام للإيديولوجية!

التكتيك على الدين، أي التعامل المريح الموافق من أجل ما يتصورونه أكثر دينية ونقداً وامتداداً ..

ثم إذا بالتجربة تصف هذا التحليل، وإذا بالدين يلوي على التكتيكي يكسر اليد التي تسعي من خلاله إلى العبث بالمقدسات الراسخة في ضمير الإنسان إذا به - أي الدين - يتجاوز هذا لكي يقف متحديًا الأيديولوجية نفسها صارخًا بحميات وسدنها، أن
يفتحوا في جدرانها الصياح نوافذ وأبواباً لدخولها، ولا تعصف بها الدين، حيث يكون الجمهور، رغم كل محاولات الخداع والتضليل والإغراق والتخويف هو الحكم الاستراتيجي عبر خطوات المصير... أيام المآرب التاريخية الكبرى، وحيث تكون روح الإنسان وإرادته المؤمنة هي الأداة الأكثر قدرة على استخدام السلاح ومجابهة التحديات.

عبر عقود محدودة من الزمن تشهد التجربة السوفيتية ثلاثةً من الانتفاضات، أو الضغوط الدينية من أجل العودة المحتومة إلى الجذور. إحداهما جاءت باختيار ظاهري للقيادة الروسية أيام ستالين - عندما فتح الأبواب الموصدة وأتاح للدين المعتقل أن يخرج لكي يقاتل الألمان في الشوارع والساحات. ولكن الأمر لم يكن اختياراً في حقيقته إنما هو الانتهاء المحتوم اما مثقل الظاهرة، والاعتراف الضممي بقدرتها على الفعل التاريخي، والمجاوبة والتنفيذ.

وجاءت ثانيتها من جهوريات الاتحاد السوفيت ذات الأكثريات المسلمة متمثلة بمطالب ملحقة تقدم بها أكثر من قائد أو زعيم شيعي، هناك في أن تفسح الدولة مكاناً أكثر اتساعاً للممارسات الدينية، وأن تعترف على الأقل - بالميزات الدينية الخاصة للملايين من مسلمي هذه البيئات ذات الأصول الإسلامية الحضارية العريقة.

وتنتج المحاولة، وتعبر عن نفسها بنصوص جديدة تنضاف لدستور الدولة.

أما الثالثة فقد جاءت من بولندة؛ حركة عمالية شاملة خفقة
نبيها بالدين والحرية، وجاهب طغيان السلطة دونا سلاح غير سلاح الإيان.

ومهما يكن من أمر النتائج التي تمكشت، وستمطح، عن الحركة، فإنها تحيي بمثابة تأكيد لا يقبل جدلاً على ثقل الظاهرة الدينية وحضورها في أعماق الإنسان، وعلى أنها تنتظر اللحظات المناسبة لكي تطل برأسها، وتقول لكلمتها في مجرى التغيرات والأحداث. رغم كل العوائق ومحاولات الظلم والاستئصال ففطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله (١).

(١) سورة الروم آية ٣٠.
رؤية تربية متكاملة

يتميز الإسلام، من بين سائر المذاهب والأديان، بنظرته الشمولية ومفهومه المتكامل للعملية التربوية، فهو يسعى إلى تنمية وإغناء مقومات الشخصية كافة؛ فكرية وروحية وجسدية، ومحاولة استجوابها ودفعتها إلى حدود التوتر الأقصى الذي يقدر على تقديم أكبر قدر من العطاء، مع الحفاظ الدائم على حالة التوازن الصعب بين الجهان الثلاثة في تكوين الشخصية.

فيما تتجه بعض المذاهب والأديان باتجاه التربية الروحية بعيداً عن الاهتمام بطالب العقل والجسد، وبينها تتجه مذاهباً وأديان أخرى باتجاه التربية العقلية بعيداً عن الاهتمام بطالب الروح، أو باتجاه التربية الجسدية بعيداً عن الاهتمام بطالب العقل والروح، نجد الإسلام من خلال كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، يوجه اهتمامه في القطاعات الثلاثة؛ الروح والعقل والجسد، ويسعى إلى تكوين الإنسان المتوازن الذي يتمتع بسوية نشاطة قدرة على الفعل والإبداع والعطاء، وهي النظرة التي اكبتها ودعت إليها أحدث النظريات التربوية والدراسات النفسية.
ولقد أراد الإسلام بعملية التغيير الذاتي التي دعا إليها القرآن بقوله "فإن الله لا يغير ما يقوم حتى يغير ما أنفسهم" (1)، تكوين الإنسان الفعال الذي هو مثبتة حجر الزاوية المبين في صياغة المجتمع المسلم الذي انبذت به الأمانة الكبرى، وحمل مسؤولية تغيير خرائط العالم، والشهادة على مسيره ومصيره. (1) وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً (2).

وإننا لنلمح هذه الرؤية التربوية المتكاملة توضح في مواقف رسولنا عليه الصلاة السلام، وتعليمه وأوامره، ومن خلال القدوة (النموذج) التي صاغها بنفسه وضرب بها مثلًا يسر على هده المؤمنون كافة في كل زمان ومكان.

لقد ممارس الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم جهداً شاقاً من أجل التحقق بالتوازن والفاعلية، فبلغوا بالتعبيد الدائم والقوى العميق لل לכתובة الروحية، وبلغوا بالتأمل العميق والنظر الدائم في ملكوت السماوات والأرض مراحل بعيدة في النشاط العقلي، وبلغوا، بالرياضة الجادة والممارسات الفردية والفردية المستمرة قمة التمكن الجسدي.

ويجب أن نلاحظ هنا أن هذا التقييم بين العقل والروح والجسد إذا هو لغرض التوضيح فحسب، أما في الواقع، وكما علمنا الإسلام بتجرية الفذة التي تكرر كيف تتعامل مع النفس البشرية،

(1) سورة الرعد آية 11
(2) سورة البقرة آية 143
فإنه ليس هناك فاصل بين هذه الممارسات جميعاً في صميم النفس ، 
فهنالك دائماً تأثير وتأثير بين مكونات الإنسان كافة ؛ روحية وجسدية 
وعقلية ، ولذلك نجد أن أي ممارسة في الإسلام تحاول أن تتمت إلى 
هذه المكونات جميعاً وترفض العزل والتمييز بين واحدة وأخرى .

إن العبادة في الإسلام ، رغم إنها تمس الجانب الروحي ، فإنها لا 
تقف عند هذا الحد ، ولكنها تتمد لكى تعامل مع العقل والجسد ، 
فضلاً عن الروح ، ولكى تؤدي دورها التربوي في تكوين الشخصية 
المؤمنة السوية .

ولنتذكر " الصلاة " وكيف أن اداءها يعتمد حالة من التوازن 
المتوافق بين الاستجابة الروحية ، والتأمّل العقلي ، والرياضة 
الجسدية .

ولنتذكر " الصيام " وكيف أنه يحقق نوعاً من النقاء الروحي 
والصفاء الذهني والضبط وال تصعيد الجسديين .

ولنتذكر " الحج " وكيف أنه يهيئ مثابة رحلة إلى الله ثلاثية 
الأبعاد ؛ بالروح والعقل والجسد .

إنا ، حيثنا تلتفنا ، وجدنا التعبد ، وهو واحد من ممارسات 
إسلامية لا يختص بها عد ، يملأ إلى كل مساحات الحياة البشرية الظاهرة 
والخفية ، الخاصة والعامة ، الفردية والجماعية ، المادية والروحية . . 
تماماً كما تمتد الدماء وسري في أوصال الجسد البشري وخلاياه .

إنه واحد من المواقف التي تعامل مع الإنسان يمكناته كافة .

90
وتعرف كيف تربي وتنمي هذه المكونات بقدر من التناسب المحكم والتوازن المرسوم.

ذلك هو جانب من رؤية الإسلام التربوية التي لم ترق إليها أشد النظريات والمذاهب حداثة وعمقًا. {صنع الله الذي اتقن كل شيء} (1) ومَن الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماوات؟ (2).

---

(1) سورة النمل آية 88.
(2) سورة آل عمران آية 5.
شيوعي أبيض ... شيوعي أسود

أمر معرفة أن تكون هناك تفرقة عنصرية بين الأبيض والأسود في بيئة رأسمالية، كواحدة من الممارسات البلادانية الطالمة التي تعج بها تلك البيئة، لكنه ليس معرفًا في بيئة شيوعية يدعو إلينا إلى العدل والمساواة في كل شيء، وسينتكرون كل ما من شأنه أن يمس قناعاتهم التي تبلغ حد القدسية! كيف إن كانت هذه التفرقة تنصب على لون الجلد الذي لا اختيار للإنسان فيه؟

(ريتشارد رايت)، الأديب الروائي الأمريكي الأسود، الذي
عرفه جمعأ، أنتج له أن ينتهي للحركة الشيوعية في الولايات المتحدة في ثلاثينات هذا القرن بحثًا عن العدل والمساواة، ولكنه ما لبث أن ارتفع بحشد من التناقضات الجأته في نهاية المطاف إلى التخلي عن إتمائه بعد إذ رأى عدم قدرته على تحقيق الأمل المريح في اخض ما يمس الإنسان الأسود.

يجدنا الرجل على واحدة من هذه التناقضات؛ تفرقة عنصرية بين الأبيض والأسود ضمن التنظيم الشيوعي نفسه!! وكأنها - أي التفرقة - واحدة من حتميات التاريخ التي حكى عنها ماركس ورفقته

97
انقل إلى ريتشارد رايت، ويتكلم
حتى نهاية هذا المقال الموجز دون أي تعليق، لأن المسألة أوضح من
أن تضاف إليها كلمة واحدة!! سؤى القول بأن على المرء أن يذكر
كيف كان ذو الجلود السوداء يعيشون في أرض الإسلام .. وكيف
كان المسلمون يعملون مثماً جديداً كثال!!

( جاء ربيع عام 1935 وبدأت خطط الأعداد لمؤتمر الكتاب
الأمريكيين اليسارين .. سافرت مع بعض المندوبين إلى نيويورك.
وصلنا في الليل وسجنا أسئتنا لجلسته المؤتمر .. وسألت عن
معدات اليوم وأمكنا فيه أربعناك على أعضاء نادي جون ريد في
نيويورك .. وكانهم شيوعيون من البيض .. وانتظرت بينا كان أحد
الشيوعيين البيض يطلب شعوياً آخر أبيض ويتزعم به جانباً لكي
تتاحتاً في كيفية إيجاد مكان لثومي .. أنا الشيوعي الزنفي السود ..
لقد كنت خلال رحلتي قد نسبت أنني أسود .. والآن أنا آريً رفيقًا
ابيض يتحدث بصراحة إلى آخر عن لون جلدي بدأ في أشار
بالإشمراض .. وأشرأ أعز الرفيق الأبيض ليلقول لحظة واحدة أبها
الرفيق .. سوف أجد لك مكاناً .. فسألت .. ولكن البسط لدك
أماكن جاهزة؟ إن مثال هذه الأمور تجهز عادة من قبل .. فقال مطرفاً
ب.Txى تى صحيح إن عندما بعض العنايين هنا .. ولكننا
لا نعرف الأشخاص .. ولهكم تفهم ما اعتني فقلت أتى أنا أصرف
باستاني ؛ نعم .. افهم ما تعني ..

قال وهو يلمس ذراعي ليطمأنتني .. انتظر دقيقة فقط فسوف اجد

شئًا ..
فقدت عقولاً. لا أجعل الغضب يبدو في صوتي ؛ اسمع، لا داعي
لأن تزعم نفسك...
فقال وهو يهز رأسه بتصميم، لا، لا، إن هذه مشكلة وسوف
أجد لها حلًا.
فلم استطع إلا أن أقول ؛ ما كان ينبغي أن تكون مشكلة.
فاستدرك يقول ؛ أنا، أنا ما قصدت هذا!
فجعلت في سريري العين الموقف، وكان بعض الناس يقفون قريباً
ويبالغون كيف أن شيعيًّا أبيض يحاول أن يجد له أواجبه الشيعي
الأسود مكاناً ينام فيه، فأحسنت بالخزي. وبعد بضع دقائق عاد
الشيعي الأبيض زائف النظرات يغطيه العرق، فلت فله ؛ لملك
وجدت شيئًا ؟
فأتجاب وهو يلبهث ؛ لا. ما وجدت شيئًا بعد، ولكن انتظر لحظة
فسوف تحدث إلى شخص اعرفه، أعطني قرشاً كي استعمل
المافع.
قلت ؛ لا تزعم نفسك. سوف أجد لنفسي مكاناً، ولكنني أحب
ان أضع حقيقية ملابسي في مكان ما إلى أن ينتهي اجتماع الليلة.
قالت بللهفه لم يفلح في إخفائها ؛ اعتقد حقاً أنك تستطيع أن تجد
مكاناً ؛ قلت ؛ طبعاً، استطيع.
ولكنه ظل غير متيقن. لقد كان يريد أن يساعدني، ولكنه لم يكن
يدرى كيف. وأخيراً اخذ حقيقتي ووضعها في إحدى الغرف,
وخرجت أنا إلى الطريق أسائل نفسي أين يمكن أن أتني أن أنام هذه الليلة. وقفت على أرضية نيويورك وأنا أحمل جلدي الأسود ولا أراك احمل نقوداً، وتند باب قاعة كارينجيپ حيث تم الاجتماع قدمت أوراق اعتمادي ودخلت، ولكن وجدت نفسي لا استمع إلى خطتهم ووجههم وإذا اتساءل جداً أنت؟ وبذلك الخطوت إلى الرصيف أغلقي نفسي بالتطلع إلى وجه الناس إلى أن قابلت عضواً في نادي شيكاغو، سألني؛ أمت جيد مكتاناً بعد؟ قلت لا، ولقد كنت أود أن أجر دخول أحد الفنانق لولا أني لست في حالة تساعد في أن اсудل مع كتاب الفنانق حول لون جلدي قال؛ يا للعجب! انتظر دقيقة، ثم انطلق ولم يليش أن عاد بعد لحظات مع امرأة سمينة بيضاء ثم قدمني إليها فقالت، تستطيع أن تنام الليلة في مكاني؟

وسرت معها إلى حيث قدمتني إلى زوجها، فشكرتهم على كرمهم وذهبت للنوم على سرير صغير في المطبخ. ثم انطلقت صباحاً إلى الرصيف وجلست على مقعد هناك، لكي أكتب بعض نقاط لأجل المناقشة دفاعاً عن النوادي اليسارية (التي عقد الاجتماع للتباحث بصدح حلها)، ولكن مشكلة النوادي في هذه اللحظة بدت لي تافهة، والمشكلة التي بدت لي على جانب من الأهمية هي، هل يستطيع الزنجي في هذا البلد اللعين أن يحيا حياة قريبة من حياة البشر؟

(1) عن (الصنم الذي هو) لازتر كوستار ورفائه، ترجمة فؤاد حمودة، ص 169-171.
ظاهرة تدعو للتفاؤل

في العقود الأخيرة من هذا القرن برز على الساحة حشد كبير من الكتاب الذين عارضوا موضوعات إسلامية من هذه الزاوية أو تلك، وأخذ عدهم يتزايد بمرور الوقت، ومؤلفاتهم تنوع وجودها في ميادين الفكر والثقافة المعاصرة...

بعض هؤلاء الكتاب تخصص بالكتابة في الإسلام وحده، وقدم للمكتبة الإسلامية عددًا من المؤلفات لم يتجاوزها في حقول أخرى. وبعضهم الآخر اكتفى بتأليف الكتاب والكتابين والثلاثة عن الإسلام، بينما بُنيت مؤلفاته الأكثر عددًا صوت وجهات أخرى بعيدة عن دائرة الفكر الإسلامي.

مهمه يكمن من أمر فإن تزايد الكتاب الإسلامي، وانتشار الكتاب الذين يكتبون عن الإسلام على هذا المدى الواسع من خارطة الفكر المعاصر، ليعد ظاهرة تدعو بحد ذاتها للتفاؤل والتقدير، إذ ليس مقترنًا عقيدة أو مذهب لا يملك قدرًا كافيا من الخبرة وتأثير والانتشار، أن يتحرك للحديث عنه، والكتابة فيه، وتحليل معطياته.

101
هذا الحشد الزاخر من الكتاب والأدباء والمفكرين.

ولكن الذي يحدث، ولا يزال، إنه بعض هؤلاء الكتاب لم يكونوا يملكون رؤية نقدية واضحة ومتكاملة الجوانب عن الإسلام، ليس لأنهم يعمدون هذا كا يفعل خصوم الإسلام، ولكن لأن مواردهم الثقافية وبيئاتهم التي تشكلا في مسالكها، وطبيعة قراءتهم ومتابعتهم، بل ربما نوازعهم وذواقهم وميولهم الشخصية كانت تجعلهم، في بعض الأحيان، غير قادرين على تمثيل الفكر الإسلامي بصيغة النقد الواضحة، وتصوراته الدقيقة المتكاملة.

ووافق من هذا أننا نتحدث هنا عن أولئك الذين كتبوا عن الإسلام من مواقع الخصومة والبغضاء، بل عن أولئك الذين أثار الإسلام دهشتهم واعجابهم، بما يتضمنه من معطيات تفرض قناعاتهم على كل عصر، وتثير العقول المتألقة الذكية، الأمر الذي جعل بعضهم ينتهي إلى الالتزام بهذا الدين، والانتقاء إليه عقيدة وشريعة وسلوكاً. لكنهم، مع ذلك لم يقدروا، رغم تألق مؤلفاتهم وامتلاكها قدرًا كبيرًا من التحليل المنعم والتأثير المطلوب، على تمثيل جوهر هذا الدين، أو يمتلكوا ناصية الرؤية الدقيقة الصادقة لقوالاته ومعادلاته.

فهل يعملي علينا هذا أن نتفق مؤلفاتهم تلك من المكتبة الإسلامية المعاصرة وندعو إلى رفضها وعدم الإفادة من تيارها الخصب المترعر بالمعطيات المؤثرة؟

ثمة من يقول بهذا، خاصة إذا كان أولئك الكتاب من لم يلتزموا بالإسلام، وكانت لهم حياتهم وتجاربهم البعيدة عن مطالبه.
والزمامات .. أو من كان ماضيهم على الأقل، أو مؤلفاتهم الأخرى، تبحر باتجاه مناقض لما طروحوا في مؤلفاتهم الإسلامية.

ولكن الواقع يجب أن يكون غير هذا على وجه التأكيد .. ذلك أن كلًا منهم يمتل خبرة غنية يتحتم الإفادة منها ما وسعت الإفادة .. خاصة وأن هؤلاء الكثيرون من هؤلاء تحولوا، بمروت الزمن، وترك الوعي، من النقيض إلى النقيض، واجهوا إلى الساحة الإسلامية، لكي يكتبوا وهم على علم تمام بجوانب اعجازها، وقوة بنيانها، بالمقارنة مع الأفكار والعقائد والمذاهب المضادة التي كانوا قد اثدوا إليها يوماً وخيروها جيداً.

هذا إلى أن كتاباتهم تملك قدرًا كبيرًا من الحيوية والإثارة بسبب من أنها تمدح من تجربة حيوية معاشة لا يزال أصحابها يحبونها، ويكتوبون بناها أو يحسون ببردتها وسلماتها.

ومهما يكن ماضي هؤلاء، وماها يكن توجه مؤلفاتهم الأخرى، وماها تضمنت كتاباتهم الإسلامية نفسها من دخل وسوء فهم وقلة تمتل لمعطيات الإسلام، فيكفها أهمية ونفعاً إنها تمنح القراء قناعات منظورة باحثية هذا الدين في الاستمرار وتفوقه على المذاهب والعقائد الأخرى بما لا يقبل مقارنة أو قياساً، بدليل هذه الحشود من المفكرين اللازمين الذين جذبهم الإسلام فكتبوا عنه بهذا القدر من الإعجاب والتقدير.

ويكفها أهمية ونفعاً أنها تملك ذلك القدر من التأثير الذي يكسب اعجاب القارئ المعاصر ويقوده في نهاية الأمر إلى الإسلام، أو يقربه منه على أقل تقدير.

103
ثم إن هذه الكتبات تكمل بشكل من الأشكال، معطيات الإسلامين أنفسهم، ذوي الرؤية النقية الواضحة، وتماً بعض الفجوات بالأولويات.

بل إن بعض هذه الكتبات بطرحها أفكارًا جديدة قد لا يلفها الكتاب الإسلاميون فتح بابًا واسعًا للحوار الخصب، كثيرًا ما يؤول إلى مزيد من العطاء المعني والتوقع الطيبة.

وحتى لو كانت قلة من أولئك الكتب متعلقة على مواقفها الخاطئة في الفكر أو السلوك، فإننا - على أحوال الأحوال - نستطع أن نطبق عليها القاعدة المعروفة التي قال بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي أن «إثيم عليهم ونفهم لنا».

نعم وبكل تأكيد، فإن مردود هذه الكتبات، على ما قد يتضمنه من سلبيات، هو أكبر بكثير وأوجه بكثير من نفيها من ساحة الفكر الإسلامي المعاصر.

فكيف بشن الحرب عليها كما قد يجلو لبعض الكتاب الإسلامين أنفسهم؟
العدل وخطوط الدفاع الأربعة

بُنيَت أن ضمانات العدل متشرة بالقسطس ، وبشكل مرسوم ، في ساحة الكون وفي صميم الحياة البشرية .

ذلك أن العدل نفسه واحد من أعمدة الوجود البشري في العالم وميرز خطير من ميزات الحياة ، بما أنها فرصة جدية هادفة وليست عبئاً أو فوضى . ولنَّا آلِ نتصور كيف ستستخدم هذه الحياة لو أن تغذي العدل أو اقتعد ضماناتها التي تمكن كلية من الديموکراسي والتحقيق .

إن قوى الظلم كثيرة وقديرة ، وهي تملك إسلحة عاتية للتمكين في الأرض كواحدة من صراع التحدي الذي كان على الإنسان أن يجابه لكي يشتد ساعدته وتقوى عزمته ، ولكنها تتحرك الحياة وتدفق الإبداع.

ولكن هذه القوى ليست مطلقة السراح ت فعل ما تشاء دون أن تحد في طريقها من العقبات والمخاطر ما يفت في عضدها ويشلها احياناً عن العمل .

106
لقد شاءت إرادة الله سبحانه أن يجابها بالعدل، وأن يعده خطاً خطاً معززة من "الدفاع" لحماة هذا العدل وإنزال القصاص بالظلمين. فحينما قدر هؤلاء على اجتياز أحد الخطوط والتفوق عليه، حيثا كان عليهم أن يجابوا خطأ آخر قد يصعب اختراقه.

وهذه المعركة لا تقتصر على الأرض وحدها، ولا تتوقف عند حدود الحياة الدنيا، ولكنها تمتد إلى السيا، وتعمل، لكى تبلغ الآخرة.

وهكذا فإن الظلم سيجد نفسه محاصراً مفهوراً، طال الوقت، مما ينتج عن نقص، وسيجد العقاب العادل بانتظاره هنا في الأرض، أو هناك في السيا.

وإذ كانت الحياة الأخرى هي الدوام والإمتداد الأبدي، وكانت حياتنا الدنيا هذه فرصة قصيرة، منصرمة، فانية، فإنه ليس هما في المنظور الإيماني أن يستعمل عل حساب الظلم هنا، أو أن يعتبر افلاته من القصاص في هذه الحياة بمثابة الخلاص النهائي.

ثم إن هذا التصور لا يحمل أي بعد سلبي كما قد تهم البعض، فليس ثمة في الإسلام أية دعوة للاهتباك والنفاق عن محجة الظلم في العالم بانتظار يوم الحساب.

على العكس تماماً، فإنه ما من دين يدعو لاستمرار المعركة منذ اللحظة الأولى وحتى النهاية ك الإسلامية، ويكفي أن نعرف جانباً من حقيقة الجهاد وأهدافه، لكي نتأكد من ذلك، بل يكفي أن نقول حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "الجهاد ماض إلى يوم القيامة".
لكي تتبدي لنا الحقيقة أوضح من أن يقدر أحد على طمسها كائناً من كان.

فليس ثمة مكان في تصورنا مطلقاً لعبارة الماديين المعروفة، و الذين أفيون الشعوب، وليس ثمة مبرر - حتى - لتذكرها.

إذاً يطرح التصور الإسلامي رؤيته عن العدل في أفقتها الواسعة المتعددة في الزمان والمكان، لكي يؤكد وحده من الحقائق الأساسية في نسج هذا التصور وهو حتمية تحقيق العدل كفية خطيرة من القيم التي يقوم عليها بنيان السماوات والأرض، بل إن هذا التصور هو الذي دفع المسلمين - ولا يزال - إلى الالتحام في ملاحقة الظلم، والاستشهاد دون العدل، ما دام أن هذا الفعل الجهادي سيؤتي ثماره عاجلاً أم آجلاً.

فالأجزء آت - لاحالة في المنظور الإسلامي، والإيمان عموماً، وليس ثمة لا جدوى تتحكم بالإنسان وتضييع فاعليته وجهده في سبيل أهدافه الكبرى.

إن الأمر هنا يبدو محفزاً إيجابياً على العكس تماماً ما يتوجه البعض أو يوهم به الآخرين.

وخطوات الدفاع التي المحنا إليها في بدء الحديث تبدأ بالإنسان نفسه وتتمد إلى المؤسسات التي تنظم حياته، ثم تتجاوز ذلك صوب الطبيعة نفسها بما تتضمنه من سنن وطاقات وتواميس.

ومن وراء هذه الخطوات الثلاثة، ومن قبلها وبعدها، ومن خلفها وبين يديها، تقف إرادة الله التي لا راد لها لكى تحق الحق وترهق.
الباطل وتمكن للعدل في الأرض والسما.

إذا حدث وأن أفلت الظلم من عقاب ضميره، المركز في جبهه
иتجاوز خط الدفاع الأول هذا عن العدل، فإنه سيجد نفسه محاصرًا
بالخط الثاني؛ التنظيم والمؤسسات التي تواضعت عليها المجتمعات
البشرية للاحقة الظلم وكفه عن الأذى و إنزال القصاص العادل به.
وتحقيق هذا الجانب أو ذلك من جوانب العدل في العالم.

لكن هذه النظام وتلك المؤسسات لم تكن يومًا مملك قدرتها الكلية
على تحقيق اهدافها وتنفيذ القصاص بن يحتقح، وحماية العدل من
العدوان. كثيرًا ما حدث وأن عجزت عن مهمتها وتمكن الجناة من
الافظات لكي يواصلوا العدوان. حينذاك قد يكون وقفهم عن
المضي إلى أهدافهم المضادة للإنسان عند خط الدفاع الثالث؛ السن
الطبيعية التي يعجز ابن آدم إحياً عن احترامها بالباطل، والتي قد
تصبر على التجاوز ولكنها ما تلبث أن تتتحرك - بأمر الله - لكي تضرب
ضربتها وتنزل قصاصها العادل بالمستحقين.

وهي هنا أيضًا. قد نجد الكثيرين من يقرعون على الافلات
иيتازون خط الدفاع الثالث متصرفين. ولكن أي حم اجتياز الخط
الأكبر، والأعمق، والأكثر امتدادًا وشمولًا؟

إرادة الله، ورقابته، وهيمته على كل صغيرة وكبيرة، الإرادة
التي لا يعزب عنها مثل ذرة في السماوات والأرض؟

إن الظلم قد يفلت من ضميره بعد أن يتيح هذا الضمير ويفقد
وظيفته، وقد يفلت من المؤسسة أو النظام ذي الرقابة النسبية

108
والقدرات المحدودة مهّا امتلك من وسائل وتفني في استخدام الأساليب.. وقد يفلت من عقاب السنن الطبيعية ويضي إلى هدفه دون أن يعوقه شيء منها.

ولكنه لن يقدر على الأفلات من قضية الله!!

وقد يطول المدى بين الفعل الظالم والقصاص العادل فيتوهم البعض أنه ليس بنازل أبداً ...

ولكنه نازل بالمجرمين .. يقينًا ..

فالله سبحانه قد يمهل الظالم، لهذا السبب أو ذاك، ولكنه لا يحمله حتى لو التجا إلى نفق في الأرض أو ابتغى سلياً في السياه .. ثم هو سبحانه إذا أخذ الظالم فلن يفلت إبداً ..

ومن خلال هذا التصوّر الإيجابي يطمئن الإنسان المؤمن ولا تذهب نفسه حسورات وهو يرى عشرات، بل مئات المجرمين والوفهم، يتفنون بجلدهم من العقاب ويومون مطمئنين.

فهناك بعد الموت الأول، بعث ونشر .. وحساب عسير!!

١٠٩
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
الإنسان موقف

الإنسان موقف... إلا فما الذي يميزه عن الحشرات والأنعام؟

ومع ذلك فإن عددًا كبيرًا من الناس، على مر الزمان واختلاف المكان، لم يتخذوا موقفاً، بل إن هذا لينطبق على الأثرية الساحقة.

فحتى تلك الملايين التي تنتمي إلى هذا الدين أو ذاك، لا تتمي إليه موقفاً مختلفاً وتلتزمه، ولكنه تقليد يجري فيه الأبناء على موال الآباء. ونحن ننظر إلى أقرب الناس اليما.. مثات والوف من المسلمين، سموا أنفسهم بالمسلمين، وحسبوا بحكم الضرورة الجغرافية على الإسلام، ولا شيء وراء هذا وذاك، فإن علاقتهم بالإسلام ليست علاقة الزمان، ليست موقفاً عقدياً بحال من الأحوال.

وما يقال عن المسلمين يمكن أن يقال عن اليهود والنصارى والبوذيين واتباع الديانات والذهب الأخرى.
والمذاهب الوضعية نفسها لا تنجو من هذه الظاهرة، فإن الأجيال
الشيوعية التالية على رواج الحركة البلشفية في الاتحاد السوفيتي، على
 سبيل المثال، أو أي من الأقطار الشيوعية في العالم، لا تدين بالفكر
الماركسي عن اختيار ذاتي أو موقف تتخذه بقناعاتها والتزامها، وإنما
هو التقليد الذي تساق إليه طوعية أو كرهاً، الأقلة قليلة بطبيعة
الحال.

ومهما يكن من أمر، فإن هنالك في مقابل هذا، وفي نسبي كل
مجتمع، طلاع من الناس كانت تجد نفسها ملزمة باتخاذ موقف ما من
أجل إن تكون بمستوى انسانيتها.

ومنذ اللحظات الأولى التي هبط فيها إلى العالم تلقي آدم من ربه
كلمات (1)، وسمع النداء واضحًا لبس فيه ولا غموض قلقنا
اهبطوا منها جياعًا فاما يأتينكم مني هدى فمهم تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون (2).

دعوة واضحة صريحة لأدم، وذريته من بعده، كي تتخذ موقفًا،
تنتمي للهدى القادم من السماء، إذا ما أرادت تجاوز الخوف والحزن
والضياع....

ولم تمكن هذه الدعوة لاتخاذ الموقف الملائم قسرية، ولا سعت
لأراغم الإنسان على التزامها بالعنف والإكراه، وإنما هي الحرية التي

(1) سورة البقرة آية 37
(2) سورة البقرة آية 38

112
تليق بالإنسان والتعليم الذي توالي هذه الحرية من أجل آليًا يتعرض
للضياع في هذا العالم.
وله بعد هذا أن يلتزم، أو أن يظل بلا موقف ولا التزام فإنه هو
الرايع وهو الخاسر، في الحالين.
وبمرور الوقت أخذ يتبين أن المشكلة لا تكمن فقط في عدم
الانتهاء في رفض اتخاذ موقف ما والالتزام به ولكن أيضًا، في
اختيار عقيدة أو فكرة خاطئة، واتخاذ موقف ليس في نهاية التحليل
لصالح الإنسان...
من قاد الإنسان إلى هذه المسألة فضاعف من تخبئه، وزاد من
ضياعه في العالم، وجعل معضيلته مركبة بعد أن كانت سهلة بسيطة؟
كثيرة هي الأسباب، ولكن يقف في المقدمة منها ذلك الخط
الطويل من الكهنة والأرباب والرضاعين والفلاسفة والأدياء...
كل يطرح مذهباً يخيل فيه للناس أنه هو الصواب المطلق وما دونه
الباطل، كل يعلن عن فلسفة يوهوم الناس أنها الحق المطلق وما
ويراءها الضلال، كل يصوغ نظرية في الفكر أو الدين أو السياسة أو
الاقتصاد أو الاجتماع أو النفس أو التربية، الخ... ويدعو
الناس بأنها العلم الكامل وأن ما دونها الجهل والخرافة والأهوام.
وهم يفعلون هذا من أجل تحقيق مصلحة ذاتية، أياً كانت طبيعة
هذه المصلحة وتكوينها، فهي حيناً تتوخى كسبًا ماديًا، وهي حيناً
آخر تستهدف استعباد الناس، وحيناً ثالثًا تسعى لنيل اعجابهم
ودهشتهم، وخضوعهم بالتالي...

113
إنهم طواعيت المال والسياسة والفكر والعقيدة والفلسفة، هؤلاء
الذين يضلون الناس ويدفعونهم، فيتخذا الموافح الخاطئ الذي
لن يكون في صالحهم على أية حال...
ولكن من الذي يلزم هؤلاء بالإنسياق وراء الضلال، والإستجابة
للخداع، والإحناء للاذاعة، والتعبد للطغيان؟
إنه الجهل، أو الشعف، أو الخوف، أو الأغراء، أو غيرها من
الأسباب، فليس歪 المسألة، إذن تكمن في اتخاذ موقف في يستطيع
الإنسان عن المحتشات والأنعام، ولكن في اتخاذ الموافح الصائب،
الموقف الذي ينطبق على إقامة الإنسان ويستجيب لحاجاته، ويرفعه،
ويزيده، ويسدده على العالم.
ولن يكون أحد من الناس ب قادر على تقديم موقف كهذا مهما كان
حجم إدعائه، وما عذره، فإن عجزه وقصوره بنظريات تعجب،
والفيلسوف تبهر، وأساليب متزايدة تفضع وتخدع، وهما استعان
بوسائل القوة والسلطان لفرض موقف على عقول الآخرين،
وأرغامهم على قبوله.
فهذا الإنسان، مهما امتلك من علم وقدرة وأساله لا يعد أن
يكون واحد من آلاف الناس وملايينهم، فيه ما فيهم من عجز
ويحكم ما يحكم من جهل وغرور، ويلقى ويلفهم من ظنون
وأهواء.
ولن يكون إلا الذين القادمون عند الله سبحانه، الموافق الذي
يبلق بمكانة الإنسان في العالم، والذي ينفذه من التيه والحزن والخوف
والضياع....
114
وهي أمور يعيشها الإنسان المعاصر، يعرفها جيداً، ويلعَق
مرارتها صباح مساء...
وهكذا ومن حيث التفتنا وجدنا أنفسنا في الحالة ذاتها التي وجد آدم نفسه فيها، لابد من تلقي الكلمات .. لابد من اتباع الهدى القادم من السماء، واتخاذ الموقف الذي يليق بالإنسان.
وليس وراء ذلك سوى الأماني والأوهام والظنون .. وما هي بالواقف التي تتخذ ولكنها المصاح والمخاوف والأهواء!
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
الوسطية والوفاق

ما أجمل موقف الإسلام من كل قضية، وما أشد منطقته مع كل مسألة، وما أروع رؤيته المهندسة المتقنة لكل شيء...

إنه الموقع الوسطي العادل الذي اختاره الله سبحانه لهذه الأمة لحظة انتمائها لدينه القوي، الموقع الذي يتعامل مع معطيات الكون والحياة والبشر وفق صيغ متوازنة، ورؤى شاملة، وتحليلات موضوعية لا تنحرف ذات اليمين أو ذات الشمال.

لقد جاء الإسلام لكي يحقق الوعي بين الموجودات، والتناغم بين الإنسان والعالم والكون، ويتوجه بها جمعاً صوب الخلاق، فاية بآمن أن تتحقق في كل جزء من جزئيات الإسلام هذه النظرة المطلقة الطبيعية أزمة المسائل والمشاكل والقضايا والمضاعفات.

لقد أريد للإسلام أن يكون الأطر الأكمل لحركة الكون والحياة والعالم والبشر، ومن ثم أن هذا الانقسام المعجز والتناغم العميق.

117
وللوهلة الأولى تبدي بعض مواقف الإسلام من هذه القضية أو تلك غامضة، أو ناقصة، أو مطرطة، أو غير مقنعة على العموم، ولكن بالتمدن في الموقف، باختباره على مستوى التحقق الذاتي أو التاريخي، يتين صدقه ومنطقته وإقناعه.

وكثيراً هي المواقف الإسلامية التي أعلنت ازاءها صيغات الرفض والتشكيك والاحتجاج من يجهلون البعد الحقيقي للموقف، أو من يتعدمون أن يتجاهلوه، ولكن الحركة التاريخية، حركة الواقع البشري نفسه، سرعان ما تكشف عن زيف هذا الادعاء وصدق المحتجين على الأخذ بمقولات هذا الموقف والأذعان لندسطه البارعة.

ذلك أنه موقف يتميز بالوسطية في رؤيته للظواهر وتحليله لها، وطرحه الحلول والبرامج لمشاكلها ومعضلاتها.

ولا يذهب الظن إلى أن الموقف الوسطي يعني الحل الوسط، بدلاً فالموقف رفض للجنوح ذات اليمين أو ذات الشمال، والحل الوسط قبول لتفريع من اليمين واليسار. اجزاء من هذا الجانب أو ذلك. الموقف اصلة ذاتية، والحل الوسط ترويع وفقدان للهوية. الموقف جوهر متفرد، والحد الوسط مركب من عديد من المواقف.

فهو وسطي إذن بشمليته، وموضوعيته، وإدراكه الفذ لطابع الحياة والإنسان، وقدرته الفريدة على وضع الحلول المناسبة التي تنطبق على الوضع أو المعضلة انطلاقاً رياضياً باهراً.

١١٨
إن إيجابية هذه الوسطية تبدي لحظة احالتها على المحاولات
الوضعية(1) لمجابهة مطالب الحياة، إنها حينذاك تميل وتجوز وتطرف
وابعد عن نقطة التوازن، وتلح في البعد تذهب ذات اليمين ثم
تنغبلي فيه صوب حدود الأقصى، أو تتجه ذات الشمال ثم تتغول فيه
إلى حدود الأقصى.
وفي كلما الحالتين تفقد المحاولة قدرتها على مجابهة كافة اطراف
المعضلة ووضع الحَل الذي ينطبق على مساحاتها وخطوطها كافة،
وتتمشى بدلاً من ذلك لكي تغطي جانباً محدوداً منها فحسب،
وهي مع ذلك لا تغطي الحَل الذي يملك التركيز والإدراك،
ولكن في معظم الأحيان، بالظاظن والأهواء.
 كثيرة جداً هي المعضلات والقضايا التي تتطلب حلولاً، ممثدة على
مساحات الزمان والمكان، المتجدة تحت الحيَّة نفسها.
أزاء كل واحدة من هذه القضايا أو المعضلات نلتقي بالوسطية
الإسلامية وتلتقي - كذلك - بجنوح المذاهب الوضعية وفقدانها
التوازن والشمولية.
قضية المرأة مثلاً، أن المذاهب الوضعية لم تستطع أن تجد إلى الآن
الصيغة المناسبة التي تضع هذا المخلوق الفريد موضعه الحق، ومن
ثم تميل بها ذلك الميل العظيم الذي حدثنا عنه كتاب الله، وتتأرجح
في أقصى حبيها بين الإباحية التي تهب بها إلى درك الحيوانية، وبين
الكتب الذي يدعم طاقاتها المبعدة ويفقدها دورها المتيم الأصيل.

(1) المقصود هنا المعنى اللغوي لا الاصطلاحي في الكلمة.
أما في المظهر الإسلامي فإنها، من خلال رؤية وسطية عادلة،
تأخذ مكانها الحق بما ينجم تماماً مع تكوينها ومطالبها، إنسانة،
وانتي، وإبنتي، وامرأة، وزوجة وأمها، وليس هنا بطبيعة الحال مجال
الدخول في التفاصيل.

في قضية الفرد والمجتمع قالت المذاهب الوضعية، ولا تزال،
كلمتها في معادله الصعبة؛ إما الفرد أو المجتمع، أما الحرية أو
العدل، إما هذا أو ذاك. أما الإسلام فإنه قدر بوسطيته على أن
يمثل حدي المعايدحة وأن يعطينا الجواب المقنع الصحيح: هذا وذاك،
الفرد والمجتمع، الحرية والعدل.

في مسألة الروح والجسد تلتقي بالمذاهب الوضعية والإديان المحترقة
وهي تضرب في النية، مخلقة حياة في سماء الروح والمثال،
وهابطة حياة آخر لكـي تلتصق بالجسد والتراب، والخصاد في كل
الأحوال هو دمار الإنسان وعدم قدرته على التحقق بالوطام
والانسجام، أما الإسلام فإنه ينفرد من بين سائر المذاهب والإديان،
ويقدر في الوقت نفسه ومن خلال رؤيته الوسطية المتكاملة أن يمنح
الإنسان انسجامه ووثامه وأن يتجاوز به مسألة التزام والأزدواج.

وما يقال عن هذا يمكن أن يقال عن قضايا أخرى كثيرة: الطبيعة
والغيب، الثبات والتطور، الدين والعلم، الأرض والسياحة، القدر
والحرية، الدنيا والآخرة، وغيرها خاط طويل من الثنائية أو
التقاليد التي اقامت المذاهب الوضعية بينها سداً فعزلت بعضها عن
بعض وقطعت عليها طريق التواصل والإتحام، وجاء الإسلام لكي
يقودها بوسطيته الشمولية إلى التوحد واللقاء.
وتكون النتيجة ليس سعادة الإنسان وانتهاء الذاتي فحسب ولكن
منحة قدرة أكبر على الفاعلية والإنجاز.

إن الموقع الوسطي الذي اختاره الإسلام ليس مكاناً جغرافياً
تحديداً، ولكنه استشراف وشمول وسثرائية عمل، وقدرة فذة على
تحقيق الوفاق والانسجام بين كافة التناقضات، الأمر الذي يمنح
المسلمين مركز التفرقة والصدارة ويكتسبهم من قيادة الأمم والشعوب
وذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهداءً(1).

(1) سورة البقرة، آية 137.
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
ما يُقرأ... وما يرمى به عرض الحائط

مرة أخرى أعود للكتابة في موضوع سبق وأن تحدثت فيه كثيراً، ولكن الضرورات تبيع الملاحظات كما يقول المثل، وإذا ضاق الأمر اتسع كما يؤكد المبدأ الفقهي.

فبين الحين والحين يلتقي المرء بنماذج من المثقفين أو أنصافهم، بعضهم يعني ما يقول، وأكثرهم لا يعني ما يقول. ويدرجه هؤلاء في سلسلة العزة ما بين طالب اعدادية واستاذ جامعي، ولكن إذا كان الهوى هو الذي يصدر الأحكام فليس ثمة فارق اساساً بين الطالب والأساتذة!

ومن بين هؤلاء جميع الناس ينوي على الكتابات الإسلامية المعاصرة توجيها صوب عموم المثقفين وعدم التزامها الصارم مبادئ التخصص العلمي ذي التعريف والتهييش.

وهم يقيسون نجاح مؤلف من المؤلفات بدءًا التضامه بدالة خصوصه ومقدار ما تتضمنه صفحاته السفل، أو الخلفية، من هومش وإشارات وتحقيقات وإيضاحات قاموسية وذيول... بل إن
بعضهم يذهب إلى أبعد من هذا فصر على أن الكتباء الجذبية هي تلك التي تقبل من مصابنا القديمة وحدها في هذا المجال أو ذلك. وتتف ق عند حدود معطيات الأجداد ولا تتجاوزها البتة إلا في حال إيضاح نص، أو تفسير عباره، أو شرح كلمة.

وسعت أكثر من واحد يقول أن اعمالاً كهذه جذيبة بالعناية حقاً، وأما ما عداها فلا يكاد يس حجة أو يروي غله.

لكن كلام هؤلاء الذي يبعث عن الحرص حيناً، وعن الهوى في معظم الأحيان، شيء، والتجربة الواقعية المعاشة وضرورةها الثقافية شيء آخر.

المفكر الجاد هو الذي يتابع هذه الضرورات، ويرتبط أولوياتها في زمن منصرم قد لا يسع لقول كل شيء هام.

ومن بين هذه الضرورات وتلك الأولويات ان توجه بالكتابة إلى الطبقة الأواسع من الثقافين والقراء، وأن تمك هذا الكتابة القدرة على التأثير العقلي والوجداني، والخريفي في نهاية الأمر، فضلاً عن تحقيق قدر من التواصل مع "العصر" الذي نعيش فيه، وضرورة أن تكون مناهجنا ومفرداتنا قدرة على الإفادة من معطياته من جهة، وتوصل فكرنا الإيجابي إلى سمعه وعقله وضميره من جهة أخرى.

من هذه القاعدة الواسعة من الثقافين لو حدث وأن استبنا لتلك الرغبات المحدودة، واعتقلنا أنفسنا كل في حدود تخصه، فكتب هذا في حرب "لا وكلا" وكتب ذاك في الفرق "بين الضاد والظاء" وحبس ثالث نفسه في حكم شهادة الزور، و"سقط الدعوى من
جانب واحد" وانفق رابع عمره في "أماكن تهذيب الماليه في عصر المقترد"، وقد قدم كل واحد من هؤلاء مئات النصوص تهذيب الماليه في عصر المقترد وقد قدم كل واحد من هؤلاء مئات النصوص وألوف الواصل والتعليقات والشرح؟

ولحسن الحظ فإن هذا الذي يريد هؤلاء واقع بالفعل، فإن الجامعات اختارت تخرج في العقود الثلاثة الأخيرة بشكل خاص، عشرات بل مئات من هؤلاء المتخصصين الذين تلزمهم الضرورات الأكاديمية في تقديم أعمال وعينات تخصصية من هذا القبيل.

ولا ضرير في ذلك مطلقاً، بل هو ضرورة من ضرورات العمل الأكاديمي وهو في الحق يملأ فارغة كبيرة في المكتبة المعاصرة. في سائر اختصاصاتها وفروعها، ولكن الضرير في أن نقف عند هذا الحد لا تتجاوزه، وفي أن يكون مجال تخصصنا سجنناً لنا لا يسمح بالذهاب بعيداً، والتجوال في حقول المعرفة المختلفة، ومشاهدة المتقدمين بالصغير التي تؤثر فيهم، والأسلوب والمنهج الذين يجعلقودهم يقولون على القراءة والتلقي، لا يهرون منها، ويلوذون بالفرار!

وإنني لأقولما على سبيل اليدين المستمدة من الواقع الشهود، كمن المتقدمين الإسلاميين، وغير الإسلاميين، قدروا على أن يواصلوا القراءة في معظم الأطراف التي تطرحها الجامعات شهراً شهراً، وأسبوعاً أسبوعاً، ثم منهم افتصل عليها الغلاف لا لصعوبة فيها. أو عمق في فكر صاحبه، وإنما لأنها تتحرك في نطاق ضيق معقد لا يهم إلا الباحثين والمختصين. وحتى هؤلاء فإنهم لم يكلفوا أنفسهم يومًا عناء قراءة أعمال كهذه من الغلاف إلى الغلاف، كل
الذي يفعلون أنهم يرون على ما يهمهم مروراً سريعاً، يقبسون منه هذا النص أو ذلك، وهذا التعليم وذاك، ثم يطبقون على الأطرحة الغلاف بعد أن يكونوا قد اخذوا حاجتهم المحدودة منها.
وعلى غير ما يتوهم هؤلاء فإن التنصيص والتهميش المزدحيم قد يخفقان وراءهما عجزاً، فإن كثيراً من انصاف الباحثين، وأرباعهم، لا يقدمون على كتابة صفحة واحدة من عند انسفهم، صفحة واحدة قد تتضمن تحليلًا حيناً، وإبداعًا حيناً آخر، وإضافةً حيناً ثالثًا، فيتكون على النصوص التي يجمعها من حشود المصادر يسندون ظهورهم عليها، كيلا يضطرهم الترحين في الفراغ إلى السقوط.
إنهم لا يفعلون بأكثر من تنضيد هذه النصوص، وفق هذه الصيغة أو تلك، والربط بينها بحروف العطف والإضافة، ثم تهميشها بأكبر قدر ممكن من المصادر والمراجع.
ويا أن الأكاديميات، في معظمها، أصبحت تمنح درجاتها "الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه" مجرد تقديم "الطروحة"، مطلق الطروحة، كما يقول المناطقة، بغض النظر عن مبلغ اسالتها ومدى قدرة صاحبها على الإضافة والإبداع، فإن أعمالاً كهذه سوف تشق طريقها محمولة على أظهر ابحاثها إلى المراكز الجامعية المقدمة لكي تكسب هناك كتبًا من الكتب وابحاثًا من الأبحاث.
بعدها، يصعب على المرء المتابع أن يعتبر على بحث قيم واحد لمعظم هؤلاء الخريجين.. كأنما يريدون الشهادة العليا وهم قد حصلوا عليها، فعلام يكتبون ويبحثون؟ وهم حتى لو أرادوا...
اتراهم يملكون القدرة على تقديم شيء ذي غناء؟ ولن إذا كانت قاعدة المثقفين العريضة تملك احساساً ذكياً فيها يقرأ، وفيما يرمى به عرض الحائط بعد الإطلاع على سطوره الأولى؟

إن الأعمال التي تعتمد فكر الباحث وقدراته وفق أقل قدر من الأنكسا على معطيات الغير، هي بلا ريب أكثر صعوبة وقيمة .. والكاتب الذي يملك هذه القدرة، لا يعجزه، كا يتهم المتميمون، أن يبالاً إبحاء بالتصص والتهمييشات، ولكنه يعتبرها مجرد خطوة أولية لا يقف عندها إلا كتاب التقارير وطلبة الدراسات العليا، أما هو فيجد نفسه مضطراً لتجاوز هذه المرحلة صوب الإضافة والإبداع.

وليس عليه بعد هذا أن يتيكّى كتاب التقارير على حشود النصوص، أوان يختصّوا وراء منهج البحث العلمي وهم أبعد ما يكونون عن مطالبه إذا اعتبرنا ان من ضرورات العلم الإضافة والإبداع وقوة الخيال.

لا عليه .. لأن مقياسه الأول والأخير هو تلك القاعدة الكبيرة، العريزة من المثقفين الأذكياء، التي تعرف بحستها وتختبرها، ما الذي يستحق أن يقرأ، وما الذي لا يستحق!!
لا يذكر الله في سورة البقرة كلمة بيئة، بل كلمة بيئة في سورة يس. ولذا قد تكون الآية مقصورة على الآية 252 في سورة يس. يرجى التحقق من الإملاء والتصحيحات. يعذرنا الله إذا كان ذلك مثالًا على الصبر والمودة والامتنان.
الثابت والمتحول في الإسلام

إن احتراء بيئة الفكر الإسلامي على عنصري النبات والتطور
ليذكر المرء بالاطار أو العجلة التي تحرك العربات والسيارات
والقطارات وأدوات الحرب .. وغيرها ..

وهي العجلة التي أشار إليها الفيلسوف والمؤرخ البريطاني المعروف
أرنولد توبيني .. وهو يتحدث عن الحركة التاريخية .. وعن التحديات
 والاستجابات ..

إن العجلة ترتبط بمحور ثابت ولكنها .. من خلال هذا المحور ،
تلف وتدور ويتمضى بالمركبات التي تستقر عليها إلى كل مكان ..
ولن يكون بمقدور عجلة ما أن تؤدي وظيفتها دون هذا الدوران
المتظم حول المحور الثابت ..

والذين تأخذهم نوبات الحماس والاندفاع العاطفي ، باسم
العقلانية .. الموضوعية .. وقوانين التاريخ .. فيدعوون إلى التطور
المطلق دون ما يرتبط على أصول ثابتة .. كأنهم يطلبون من العجلة
أن تؤدي دورها دون أن ترتكز على معرفة الثابت ... إنه سيغدو مستحيلًا عليها أن تؤدي وظيفتها وأن تنتقل بالعربات والمركبات إلى أهدافها القريبة والبعيدة ... لأنها سوف تدور دورتين أو ثلاثًا وما تثبت أن تتفكك وتتبخر، وتجد المركبة نفسها قد انتقلت إلى الأرض لكي تستقر هناك، ثابتة ساكنة، غير قادرة على التحول والحركة.

وطبعًا، فإن الذين يدعون بالمقابل إلى ثبات الحياة، وشدّها إلى محاور ساكنة لا تلف ولا تدور، فإنهم كمن يحكم على العجلة أن تظل حيث هي في مكانها لا تدور أبدًا، وهي بحرانها ذاك ستحكم على المركبة بالبقاء الأبدي في مكانها ...

و في معظم الأحوال كانت المعطيات الفكرية البشرية تميل إلى هذا الجانب أو ذلك فتصيب الحركة التاريخية الموقدة بالعقم أو الانحراف أو التقلّب، وفي كل الأحوال ما كان بمقدور المركبات البشرية أن تصل إلى أهدافها ...

أي تطور هذا الذي لا يرتبط على مقاومات ثابتة تبتين من تكوين الإنسان وسن الحياة ونواحي الكون وقوانين التاريخ نفسه؟

و أي سكون هذا يرفض الأعتراف بعناصر الحركة والنمو التي تعبّر عن نفسها بوضوح مكشوفًا حتىً، وبخفاء حيًا آخر، في تكويننا الأدبي نفسه وفي ساحة الحياة، وعلى مدى السماوات القريبة والبعيدة ... وفي نسيج الفعل التاريخي المحقق في الزمن والمكان؟

إن واحداً من جوانب الأعجاز في بيئة الفكر الإسلامي يبدئ واضحاً هنا بالذات؛ تحقيق الوفاق المرسوم بعناية بين عناصر النبات والتحول واحتراوة كافة معطياتها، بصيغة متفردة لا تتسع لم
الجزئيات لذا ميكانيكياً آلياً صرفاً، لا تكذبها تكديساً شيئاً تراكماً يفقد التوازن والأربطة.. ولكنها تتعش بين النسب والكونات تجعلها تتداخ وتنترابا في إطار تجربة حيوية متراوطة تكاد تختفي في نسيجها خيوط الثابت والمتحول، لكي ما تثبت أن تبرز لمعان قطعة عميقة من نسيج متن مشغول بمهمة فائقة.

إذا المسألة لا تقتصر على التوجه الشمولي للفكر الإسلامي، أو على طابعه العام وخطوته العريضة، ولكنها تمتد إلى كل جوانب وجوهته وتنتشر في مساحاته كافة. فإنه ما من جانب من جوانب هذا الفكر؛ اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو تشريعية أو اخلاقية، إلا أن تعزف التناسب الباري بين الثابت والمتحول بما ينجم ووضع الإنسان في العالم ومطالب حركته التاريخية.

وقد تزيد نسبة الثابت هنا والمتحول هناك لأن طبيعة الحالة تقتضي زيادة هنا ونقصان هناك، لكنها في كل الأحوال لن تعد ذلك التقابل الدائم بين عناصر الثابت والتطور.

إن المرء ليستطيع أن يتخيل المسألة أو يقربها من خلال تصور التخلق الجيني في الأرحام.. إن المخلوق الجديد يحمل طابعه أو شخصيته المميزة التي تبتكرمرور الوقت، من خلال نسب المكونات الوراثية القادمة من حويك الذكر وبويضة الأنثى.

إن هذا التخلق سيحتاج إلى ملايين الخلايا التي تبنيه وتمكنه من الحياة، وكل مجموعة من الخلايا تتولى بناء جانب من نسيجه وأعضائه ولكن كل واحدة منها تحمل المكونات نفسها، الخصائص التي تمنحه

١٣١
شخصيته المميزة التي تفرّقه عن الآخرين.

وهكذا فإن كل الجزيئات التي لا حصر لها والتي تسهم في تكوين بنية الفكر الإسلامي المتميز، تحمل في تركيبها، كلًا على حدة، خصائص الثبات والتحول لكي ما تلبث أن تصب في البناء العام.

ومن خلال هذا التوافق بين ضرورات الحياة البشرية وقوانين الحركة التاريخية وبين معطيات الإسلام، قدر هذا الدين، وسيظل، على أن يكون الاستجابة الأكثر فاعلية وانطباعًا على مقولات الإنسان والتاريخ!
الإنسان أولاً

في عبارة وردت في مذكرات لويس فيشر، الكاتب الأمريكي اليساري الذي كان يعد نصيراً للاتحاد السوفيتي عبر عشرينات القرن وثلاثيناته، نلتقى بالبعد الحقيقي للمشكلة التي تعانيها الحضارة الغربية في جانبيها الشيوعي.

وإبادر فأقول بأنها فعلًا حضارة واحدة، ذات أسس واحدة، ونسج ذو خيوط واحدة، وربما أهداف مادية واحدة، وليس ثمة من فارق بين الجناحين الرأسمالي والشيوعي سوى في سياستي المال والعلاقات الدولية، أي استراتيجيحة العمل على نطاق العالم.

والآن فإننا نجد حتيًّ هذه الفروق تنضاءل يوماً بعد يوم، بل إن نقاط التماس والتشابه تزداد عددًاً واتساعًاً على خارطة العلاقات الداينامية بين المعسكرين.

ويبقى نسخ الحضارة الغربية في الجانبين واحدًا وإيقاعها واحدًا.

يقول فيشر، وهو يعلق على مشاهداته الميدانية في الأرض
السوفيتية «لقد بدأ فكري يزعم، وبدأت اتساءل؛ ألم أكن أبادي الفولاذ والكيلووات ونست الإنسان؟ إن كل الأدبية والمدارس والكتب والجرار، والضوء الكهربائي والانفاق الأرضية التي في الدنيا لا تساوي شيئاً إذا كان الجهاز الذي ينتجها فاسداً شريراً» (1).

وهذا الاستنتاج الذي يكتنف خبرة أكثر من عقد من الزمن ويتضمن عن مشاهدات عالم شبيعي بأكمله، ليس جديداً، ونحن نعرف جيداً ذلك المثل المعروف المنحدر اليونا - ربما - من عصور اليونان والرومان ماذا يدفع الإنسان إذا كسب العالم كله وخسر نفسه؟ ويساء المرء؟ هل ثمة مسحيل في تحقيق التوازن بين طريقة المعادلة؟ العالم والإنسان؟ ويساء للمرة الألف؛ لماذا يصر الغربيون، في النظرية والتطبيق، على مبدأ «أنا هذا أو ذاك»؟ إما الإنسان أو العالم؟ لماذا لم يتوجوز إلى مبدأ آخر أكثر منطقية وعدالة؟ هذا وذلك، العالم والإنسان؟

هنا هنا في التجربة التي خبرها فيشر واستخلص من خبراتها استنتاج ذلك، نلتقى بنتائج متزايدة ومتفوقة للأدبية والفولاذ والجرار والكتب، وتتوسع مذهل في بناء المدارس والعمارات والمصانع والانفاق الأرضية، وفي اعتماد الكهرباء.. ولكن ابن الإنسان؟

(1) الصنم الذي هوؤى، لأثر كاستر ورفاقه ص258، ترجمة فؤاد حومة، الطبعة الثانية، بيروت، 1970.
لا يمكن أن يساوي شيئاً، فإن الحضارات التي ي기에 نفسه لا يمكن أن تتنازل عن المواقع، ويعرفون كيف يضعونها فوق مستوى المادية والأشياء، أولئك الذين يقصدون في اللحظة المناسبة على اتخاذ القرار الحر الذي يتناسب ودورهم في العالم ككائنات مترادفة.
تعلم على الضرورات وتتجاوز منطق الانقياد الأعمى، والقطيعية، والتسلط...

ويعود السؤال الأبدي لكي يطرح نفسه مرة أخرى؛ وماذا يفعل الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟

و سيكون الجواب ما سبق وأن قاله فبشر، وهو يتجول في أنحاء العالم الجديد الذي قيل إنه يبنى من أجل الإنسان؛ إن كل الأجهزة والمدارس والكتب والجوازات والضوء الكهربائي والإفصاح الأرضية التي في الدنيا، لا تساوي شيئاً إذا كان الجهاز الذي ينتجها فاسداً شريراً.
البذرة والبستان الأخضر

كما أن الصراع وتأجيجه كلما ارتفعت ناره أن تخبى، يعد ضرورة من ضرورات العمل الدرامي من أجل تعريفه ومنحه الحياة والإثارة، فكذلك هو ضرورة من ضرورات الحياة البشرية نفسها، بما أن الدراما هي محاولة لمحاكاة هذه الحياة أو عرض عينات منها بصورة العمل المسرحي.

ولقد كان وضع إبليس منذ حزمة الخلق الأولى قبالة آدم في موقع التحدي والمعارضة، يحمل هذا المعنى؛ بذر الصراع في جميع التجربة التي ستخوضها البشرية على ساحة العالم، وتحريك هذه التجربة بسلسلة متصلة للحيات من الأفعال وردود الأفعال بين الإنسان والشيطان.

إن قوى الشر والضلال التي هي امتداد للوجود الشيطاني قبالة الإنسان تحمل مغزاها الواضح على هذا الوضع؛ استفزاز الإنسان بستمرار ورفعه إلى مواقع الفاعلية، والشكل، والمحبة، والتغيير.

١٣٧
والقرآن الكريم يشير إلى هذا التقابل الدرامي، القائم على الصراع في اتجاهين عميقين: الأفقي والقاني.
فهناك صراع بين الإنسان لنفسه لمجابهة قوة الشر التي تستنزف من الداخل، وهناك صراع بين الإنسان وبينه لمجابهة قوى الضلال التي تتحاول نقله.
وفي الحالتين تتحرك الحياة البشرية وتحاول مواقع السكون إلى التشكيل المستمر والصيروة المبدعة.
في الحالة الأولى يقود الصراع إلى التغيير الذاتي الذي يعبث الإنسان القدير على الفعل والإنجاز. إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغير ما يبنفسهم 1.
وفي الحالة الثانية يقود الصراع إلى تغيير العالم من أجل خلق الأرضية التي تلبث بالإنسان ولم يدفع الله الناس بعضهم بعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل عظيم على العالمين 2.

والتوصير حياة بشرية تعلو من الصراع. حياة لا أبالسة فيها ولا شياطين حياة يتجمع فيها الشر والضلال، حياة لا إثارة فيها ولا حرارة ولا حوار بين الأعمال وردودها. أتراها حينذاك تهم كأن تكون بحرية راكدة؟ وهل تكون حينذاك جدية بأن تعيش حقاً؟ وكيف يتحقق الفعل الحضاري والنمو العمراني إن لم يجيد الإنسان...

---
1) سورة الرعد آية 11.
2) سورة البقرة آية 251.
نفسه يكافح القوى التي تستخدم وتتحرك وقف في طريقه؟
إن (تشكل) الحضارات اساساً جاء، فيا يصل إليه: توني،
عبر استقرائه لتاريخ البشرية، ويبد هذا التقابل الذي يصطرع فيه
الإنسان مع خصومه على كافة المستويات. وأنه ليقف طويلًا في بداء
تحليله الواسع عند قضية الخلق ودور الشيطان في خارطة العالم الذي
سيحل البينة الإنسان، يقف طويلًا لأنه يدرك جيدًا أن خلق الشيطان
منذ تلك اللحظات الأولى يحمل مغزاه الذي سينصرب فيها بعد على
 مدى التاريخ البشري.
ولنا أن نصور سخف الدورة السائدة التي تأسف على أن الإنسان
لم يخلق في عالم لا أبالسة فيه ولا شر ولا ضلال. عالم يتحمض
بakhir وفضيلة، ويعفن فيه الإنسان من الصراع والعناء.
أن (توني) نفسه يعتبر هذه الحالة التي وضع يده على بعض
خاطها في هذه الجهة أو تلك من العالم، أوراً استثنائياً تقيضاً للوضع
الطبيعي المناسب لموقع الإنسان ودوره، لأنه وجد تلك الحالات تقود
إلى الإسلام والانتكالية والسكن والبدائية، ولا تبشر بآية بادرة
للفعل والتحقق الحضاري.
فلا بد من التحديات، لا بد من قوى الشد والإعاقة، لا بد من
الأبالسة والشاطئ، من الشر والضلال، من العصاية والشقاء،
لكي يستفر الإنسان ويتحرك للاستجابة. فهذه الاستجابة سيتفوق
وسيصنع حضارته المتأصلة...
لقد بعث الإنسان لكي يصنع مصيره بفعله الخاص لا بعجزة تأته
من السياحة بدي قدرته على الامساك جيدًا بتعاليم السياحة، والسير على
هذى الأديان لصياغة عالم يليق به وقلنا احفظوا بعضكم لبعض ولكلم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. فلتبقى آدم من ربه كلمات كتاب
عليه إنه هو التواب الرحيم. قلنا احفظوا منها جميعاً فإننا يأتينكم مني
هذى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

ولن يتأنى ذلك بطبعية الحال والإنسان قاعد مستريح لا يصارع ولا
يقاوم ولا يبذل جهداً من أجل حماية أنظمته الدينية وتلبية مقولاته على
ساحة الأرض. ولن يكون هناك صراع أو مقاومة أو حركة أو
تقدم، ما لم يكن نسيج العالم مزروعًا بالأبالة، والشياطين
وقوى الشر والتعاسة والضلال...

(1) سورة البقرة الآيات 37-39.
الاصطراع مع المرأة

مرة أخرى مع "المراة".

والامر لا يقتضي هذا الالجاح لو أن الأمور سارت وفق مجرى الطبيعى وأخذت هذه الكآئنة الفريدة، المتميزة مكانتها المرسوم في خلق الله وتصميمه المعجز للحياة والأشياء ...

ولكنهم ارغموها، بشكل أو آخر، لكى تخرج عن مكانها فتفضل وتضيع وتصبح لها مشكلة تزداد مع الأيام تعقيداً، بينما هم يتصورون أنهم قد وجدوا لها حلًا؟

إذا تذكر هنا تلك العبارة الذكية التي استعملها الناقد الانكليزي "جون ستراينتشي" في كتابه "الصرخة المختلقة" وهو يناقش رواية "باسترناك" الشهيرة "دكتور زيفاغار" ويضع يده على عنصرين

الأرطام بين معطياتها وبين نصيحة التجربة الماركسية.

والعبارة هي "الاصطراع مع التاريخ"... وباختصار فإن الماركسية، شأنها شأن العديد من المذهب الوضعية، جعلت نفسها في حالة اصطراع مع التاريخ، لا وفق معه. اصطراع مع التاريخ

141
يعني الوقوف ضد قيمه وبداهاته وأقانمه ومؤسساته التي اجتمعت عليها الأمم والشعوب والحضارات وغدت بمثابة احجار الزاوية لكل نشاط حضاري يمارسه الإنسان.

والتاريخ هنا يعني الخبرة البشرية المبنية على تركيب الإنسان وفطرته وطاعته، وميله واشواقه وقوتراته، والتوافقه معها.

لقد بذلت الماركسي جهدًا مضاعفًا من أجل تحقيق انتصارها على البدايات لا شيء إلا لأن «ماركس» ورفقته «انغلز» استنادًا نوعًا من الأرتباط الميكانيكي بين هذه الخبرات وبين التركيب الطبيعي للمجتمعات البشرية.

وفي هذه المعركة انتصر المذهب بصغر القسر مرة، وانهزم أمام الخبرات الأكثر حركية وعمقًا ودوامًا، مرات. ولكن الإنسان كان في كل الأحوال هو المتهم على حساب المذهب.

هذا ما أرادت الرواية أن تقوله كا يتصرف "ستراشتي" من خلال تعبيره ذاك "الاصطراع مع التاريخ".

ويبدو أن المسألة تنسبح على الوقوف الغربي عمومًا من المرأة.

هذا الوقوف الذي سعى المثقفون الشرقيون إلى جرّه إلى الساحة الإسلامية وارغام المرأة على أن تظل الدور نفسه.

إنهما باصطراعهم مع وظيفة المرأة الطبيعية المصممة على حجمها، والمسجية مع قفطتها وتركيبها وقوتراتها، قد اختاروا الإرتباط بواحدة من الحقائق الأساسية للتاريخ البشري، وهم عبر معارضتهم التي لا مبرر لها كسبوا مرة وخسروا مرات، ولكن المرأة بالذات خرجت في

١٤٢
معظم الأحيان مهزومة تلعق المراتب، رغم ما يبدو في الظاهر من بريق يغشي عيون من لا يقرون على التبصّر بحقائق الأمور. دعونا نتساءل: هل بمقدور قوة في العالم أن تحقق المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة؟

والجواب: كلا. بطبيعية الحال، لأن هناك في تصميم الكائنين من الفروق النوعية على كافة المستويات الجسدية والفسلية والعاطفية ما يجعل الأمر مستحيلًا. ولكن لتصور أن الأمر تحقق، فهل يمثل كسباً حقيقياً للإنسان؟ والجواب مرة أخرى: كلا.

لأن المساواة المطلقة حتى على مستوى المواقع الاجتماعي للنساء الواحد امرأَ ينافض مفهوم العدالة من أساسه. فليست المسألة عملية حسابية أو رياضية، لكي تتحقق التطبيق بين المساحات أو التعادل بين الأرقام. إنها اعقد بكثير، وأصعب بكثير. وهي تتضمن شبكة من المفاهيم وخطوط التعارض التي تجعل أي محاولة لتلفظ مساواة رقمية غير ممكنة أساساً، وإذا ما حدث وأن اعتمدت صبغ القهر والأرغام كانت النتيجة سلبًا. فكانت بمثابة دمار للإنسان وضياع لقيم العدل في، اباعها الإنسانية العميقة، الرائبة، الشاملة....

كيف في المساواة التامة، أو المطلقة، بين الرجل والمرأة؟

لا شك أن معطيات الواقع المنظور أسهم ثقلًا وإزاماً من تحليقات المذهب النظري واستنتاجاته، وقد أكمل الواقع المرة تلو المرّة أن ما يحاول الغربي في هذا الصدد لا يعمر أن يكون خطوة بحق الإنسان، ثم ما يلبو أن يجد نفسه ملزماً بالرجوع إلى المنطلقات الأساسية التي تمد عليها واصطبر معها.

١٤٣
إنها واحدة من أشد الأزمات التي يعانيها المذهب الوضعي؛
الاصطراع مع التاريخ ؛ إعلان الحرب على فظة الإنسان
ومؤسساته الحضارية وخبراته الأساسية وتركيبه الفذ المتفرد، ومحاولة
صياغة "إنسان" آخر ذي فظة مغايرة وخبرات جديدة وغريبة ..
وهذا لن يتأنى ولن يكون ..
وفي مقابل هذا يبدو واحدة من جوانب الإعجاز والتصميم الفذ
للاسلام ؛ إنها الوفاق مع التاريخ والإنسان .. التطلاب الباهي بين
العقيدة وبين صيغ الخبرة التاريخية وفظة الإنسان .. فإذا ما حدث
خسر الغربيون مرة واحدة وهم يحاولون إعادة صياغة المرأة .. فإننا هنا
في عالم الإسلام سنخرس مرتين، لأننا كمن يضحي بصيغة
التوافق الصحيحة المرسومة بدقة وإعجاز .. ويستبدل بها صيغة
اصطراع خاطئ ظد تضيع معه المرأة المسلمة والرجل بطبيعة
الحال ..

١٤٤
بحث عن الخلفية

يتساءل المرء احياناً، لماذا يجد "الغربي" الاستعداد الدائم للتعاطف مع اليهود، حتى بعد ممارساتهم الإنسانية في فلسطين؟

أو مجرد رفع إزاء موقف النازية من هؤلاء، ذلك الموقف الذي بُلغ فيه، وفق سياقات مرسومة، لكي تبني عليه مكاسب مستقبلية

لبنى إسرائيل ليس قيام إسرائيل إلا واحدة منها؟

إن تفسير التعاطف بكونه مجرد رد فعل للاضطهاد النازي لا يكفي، لأنه إذا منحننا القناعة بالنسبة لخسارة الأروبيين العاديين الذين قد

تتحك عواطفهم في تصرفاتهم ومواقفهم وأحкамهم، فإنه غير متعلق

الجنة بالنسبة لسلوك مفكري الغرب، بل نخبة مفكريهم إذا أردنا

الدبكة.

ولن يكون مقبولاً بحال أن ينساهم هؤلاء وراء عواطفهم، ولا

يكون لديهم العقل المتبتصر الذي يكشف لهم عن الأسود والأبيض،

عبر مساحات التجربة كلها.

لأن يكون مقبولاً أن تستسلم العقول الغربية الكبيرة لسلطان رد

145
الفعل إلى الحد الذي يجعلها تقع في التناقض عندما تواقي، بل عندما تعلن ارتيابها وتأييدها، للإسطهادة نفسه، يمارس اليهود هذه المرزة ضد شعب عربي مسلم شاءت القوى الاستعمارية الكبرى أن يكون مشرداً في الأرض، مستضفاً، وأن تكون العلاقة بينه وبين يهود العالم في صيغة أشد قسوة بكثير، وأبعد عن نسبتها الإنسانية بكثير مما كانت عليه الحال بين النازي واليهود؟

تأتي كم من المفكرين الغربيين قدروا على إدراك حدود الأسود والأبيض، والتزموا موقفاً إنسانياً لجبهة الأسود وحمايته، بعض النظر عن الجماعة، أو الشعب، أو الأمة، التي تقف هنا أو هناك؟

قلة قليلة لا تكاد تتجاوز أصابع اليدين، والأكثرية الساحقة من المفكرين الغربيين أندفعوا في السياق الخاطيء فظولوا يتعاطفون مع اليهود حتى وهم (يجولون) عقدة الإسطهاد النازي إلى سوط ابدي يدعي ظهور الفلسطينيين في كل مكان، ويسعى إلى أبادتهم واستئصالمهم.

إن المزيد ليتساءل – كذلك – عن موقف هؤلاء المفكرين من صيغ اسطهاد شتي نزلت بشعب أخرى. نفذها الأقوى بالضعفاء، ومارستها القوى الإستعمارية التي كانت تمسك يوماً بزمام العالم وتحكم بمصائر شعوبه وامة؟

قلة قليلة جداً رفعت صوتها على استحباب مواجهة ممارسات الإسطهاد الجماعي لهذه التي لا يكد يخصيها عد على مدى القرن ونصف القرن.

وظلت الأكثرية الساحقة ملتزمة الصمت إزاء ما يجري على ساحة
العالم من ممارسات لا يقهرها شرع ولا قانون ولا إنسان!! بل إن بعض هؤلاء المفكرين وضع فكره وقلمه لكي يكونوا أداة بيد القيادة الاستعمارية لتربي جرائمها وإضفاء طابع عقلاني مقبول على ممارساتها

بحق الإنسان!!

لماذا مرة أخرى، اليس هو الاضطهاد الذي يفوق ما فعله النازيون بحسابات الكم والنوع؟

تأين هو رد الفعل؟ أين هو التفاوض مع المغلوبين والمظلومين؟

وإذ تذكر المرء كيف أنه ما من تظاهرة خرجت يومًا لكي تجوب شوارع هذه المدينة أو تلك من أوروبا وأمريكا، معلنة تأييدها للممارسات اليهودية، صابة غضبها على ضحاياها، إلا وطالما تقدم عدلاً لي يستهان به من رجال الفكر هناك بما فيهم أولئك الذين خذلوا معظم مثقفنا بهم وانساقوا وراء دعاواهم الإنسانية وحولوا أفلامهم وعقوباتهم إلى أدوات صغيرة خدمة هذه الدعاوي، ولتدمير كل ما يقف في طريقها من قيم ذهنية أو اخلاقية.. نم إذا بهم يفاجؤون بأنهم تلك، قد خرجت من معابدها لكي تمنح بركاتها لبني إسرائيل وتصب ويلها وغضبها على كل كائن يقف في طريق هدافيهم المسمومة، مهما كانت هذه الأهداف.

ثمة إضاءة خاطئة قد تمنع المسئولين ما يقعهم بحقيقة الأسباب.. إضاءة قد لا يتسع المجال لأكثر من طرحها بصيغة سؤال، ولكن سؤال يتضمن أغلب الظن - البعد الحقيقي لهذه الظاهرة الملتوية التي يبدو أنها تستعسي على التحليل.

لا يتحتم أن نبحث عن الخلفية الصليبية التي يتحرك العقل

147
الغربي في مجالاتها لكى نكشف عن حقيقة الأسباب؟
الخلفية الصلبية ؛ عادات، وتوجهات، ومارسات، واستقادات
نفسية، وتقليد ثقافية؟
الخلفية الصلبية كموقف نهائي يدفع الغربي حتى ولو كان في
الظاهرة من خصوم النصرانية، إلى اتخاذ هذه الصيغة ؛ التعاطف
مع المظالم إذا كان يهودياً، والتزام الصمت، أو حتى الارتيحا
والتأكيد، إذا كان المظالم عربياً مسلماً، وإلا في أي الأسباب؟
لا تزال تلح علي، رغم انقضاء سنين وستين، صورة ذلك
الاستاذ الدكتور المتخصص في التاريخ الإسلامي يقف محاضرا أمام
جميع من الحضور، في هذه الأفعال والامتعاض ويتراوح الرذآذ من فهم
وهو يصرخ؛ أهي انسانية هذه التي ينادي بها القرآن؟ ما ذنب
الإعراب الكاذبين كي يصب عليهم جام غضبه، ويدمهم بالكفر
والمرفوع والتفاق ويدعو إلى مقاطعتهم ثقافياً وعدم السماح بتعليمهم
أصول الدين ومبادئ؟ وراح يتلئ في الإعراب أشد كفراً وتفاقاً وأجدر
لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله (1).
وعبتاً حاول المستمعون إقناعه بخطأ استنتاجه، عبتاً حاولوا تهدئته
وقف رشاش الرذآذ المتطاير من فمه .. وانتهت المحاضرة وهو يرد
العبارات إياها .
ولو أنه صبر قليلاً، والصر على القراءة أقل ما يقضي عليه التخصص
من اخلاقاً، واطلع على «أسباب نزول» الآية المذكورة وفهم ما

____________________
(1) سورة التوبة آية 97.
تعني عبارة "لما أجد إلا بعلموا"، لو أنه واصل قراءة الآيات التالية، لعرف أن غضبه الجارف ليس له ما يبرره على الطلق.

تلوز عليه، دون أن يعيروني أذنا صاغية هذه الآيات ومن الأعراب من يتخذ ما ينقف مغرماً ويتبرس بكم الدوائر عليهم دائرة السوء، والله سميع عليم. ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينقف قربات عند الله وصلوات الرسول إلا أنها قربة لهم، سيدخلهم الله في رحمة الله غفور رحيم. وأخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عمال صادقاً وآخر سيئاً على الله أن يبت عليهم أن الله غفور رحيم. خذ من أموالهم صدقة تظهرهم وتركهم بذا وصل عليهم إن صالاته سكن هم والله سميع عليم. لم يحدثوا أن الله هو يقبل التوبة عن عبده وياخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم (1).

قلت له معقباً: هذا هو القرآن الكريم يعرض علينا قطاعات الإربر الثلاثة يسلط ضوءه على هذه العينة الاجتماعية في كافة أبعادها ومساحاتها...

ولكن يبدو أن الرجل حمل، وهو يدرس "هناك" هذه الرؤية الإخادية قصيرة النفس، وكان عليه أن يوصلها بأمانة واتقان، وإلا اضطر استاذته "هناك" إلى سحب صفة "العلمية" التي منحواها إياه!

بعد مغادرة القناعة خلفه به، حاولت أن أمزج معه الجند باختِلِ.
على اصل الى نتيجة بعد اذ عجز الجد وحده عنها. سألته: صحيح
ما يرده الناس من إن القرآن قد شن حملة قاسية على المصلين
وتوعدهم بالويل والثور؟
قال وهو يفتح حقيته الفارهة على منضدة مجاورة لكي يضع فيها
رزمة من كتب لا اعتقد أنه قد قرأ منها شيئاً لا يمكن! لأن معنى
هذا أن القرآن يناقض نفسه!

كيف?
- لم يقل في احدى آياته بأن الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً
- موقتاً?
- بكل تأكيد.. ولكن الحملة هنا منصبة على المصلين أنفسهم.
- اتفعت المنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسابق؟
- إنني اعني ما أقول .. المصلين .. وليس المنافقين
- هات الدليل ...
- وبل للمصلين!

وكان الرجل، وقد تلاشت الابتسامة في وجهه، احسر بقصدي
فأجابني بصخبة: ليس هذا وقت مراح؟
- ولكنك أنت الذي بدأ التراح!
- ارجوك، لقد كنت القي محاضرة جادة.
- عفواً، فقد اعتقدت أنك متزوج وأنك تتحدث بصخبة عن تنديد
القرآن بالإعراب ..

151
لم أقل الآخذًا...
فلمَذا تتهمي هنا بالمزاَح؟
ماذا تقصَد؟
الحملة التي شنَّها القرآن على المصلَّين...
لا تحاول أن تمرِّج الجلد بالهلز، ثم إنني مرهق وليس لدي استعداد للمزاَح.
ابداً، وكم كنت امتىً ألا يكون لديك هذا الاستعداد حتى وانت تلقي محاضرتك.
هذا قد عدنَا من حيث بدأنا...
يا أخي، إن أعلامك بأن القرآن قد ندد بالإعراب هو كإعلاني
بأنه ندد بالمصلين. ولو أنك ترِهفت قليلاً وواصلت تلاوة الشاهد القرآن لغيرت وجهة نظرك تماماً كما أن عبارة ﷺ يويل للمصلين ﷺ لا تعتبر عن معنى نهائي إلا بعد ربطها بما يليها... بأن الذين ينصبون الويل عليهم هم أولئك الذين يسهون عن الصلاة... وشنان... إنها لعبة الاقتصادى القسري للشاهد... انتزاعه من بعثته وسباقه كي يخدم وجهة نظر ما قد تكون مغايرة تماماً للهدف النهائي من إيراده...
إذا كانت اللعبة متعمدة وصمت بالخبيث والفكر، وسمي صاحبها بالخبيث الماكِر، وإذا كانت غير متعمدة وصمت بالجلد والغفلة وسمي صاحبها بالجاهل الغافِل، وإني أزبأ بك أن تكون أحدهما...
لم يُحني الرجل... ومضى لا يلوى على شيء!!
وجهة نظر

الذي يقرأ بعض الروايات ويشاهد عددًا من المسلسلات التلفزيونية يعجب لهذا التفاعل المتعارض بين المدعى والمدعى العام، وكنه قد كتب عليها أن يقف أحدهما قبالة الآخر وكأنها خصمان أبدان لا يمكن أن يلتقيا.

حتى لقد أصبح من قبل المسلسلات الخاطئة أن ينفدهما أدلاء الآخر ويذهب كل حجة حتى ولو كان بعضها على الأقل مصمماً، وحتى ولو كان أحد الطرفين مقتناً في بانطنة - وجهة نظر خصمه - أو «غريمه» في هذه المسألة أو تلك.

يقوم المدعى العام لكي يلقي خطابه التقليدي بلهجته هجومية تحمل مغزاه الواضح، وينهض المحامي لكي يستغرق نفسه وموقله في جبهة دراماتيكية مع المدعى العام. ويستقر هذا بين الحين والآخر فيقف ويطلب الآذن من الحاكم ويطلب بوقف المحامي عن الاستمرار في طرح استئناته الاستفزازية.

والحاكم، الذي يتحتم أن يكون رحي الدائرة ومركز القضية،
يدير رأسه ذات اليمين وذات الشمال، ويتخلل بين حظة وأخرى للتحفظ من هدة الصراخ وعفف اللزومات المتبادلة بين المدعى العام والمحامي، أو لوفق تدهور الموقف أكثر مما يجب، أو لتحقيق نوع من التفاهم بينهما.

والمتهم يعتقد منذ اللحظة الأولى أنه يجابه خصياً لدوداً، متملاً بشخص المدعى العام، وأن محاميه إن قدر على التفوق عليه واكتسابه فقد ربح القضية ونجا من العقاب!

والمشاهدون يتبعون الأمر باهتمام بالغ رغبة في الكشف عن الحقيقة. حيناً، واندفاعاً، حيناً آخر بنوع من الفضول، والفتاحة - ربما - بهذا الرجل أو ذاك من المنتميين في الحلبة، المدعى العام أو المحامي.

لا يقتضي منطق العدل نفسه تقليداً إجرائياً آخر غير هذا التقليد الذي الصيغة الخاطئة، تحول الطرفين معًا، المدعى العام والمحامي إلى رجلي بحث عن الحقيقة، جنباً إلى جنب مع الخاكم، ليس بالصراع وتبادل اللزومات، ولكن بالتفاهم والتعاون، وبذل الجهد المشترك، الجهاد المخلص الذي يعتمد على الأساليب الموضوعية للتوصيل إلى الحقيقة المغيبة عن الأنظار؟

صحيح أن المحامي مكلف ابتداء بالدفاع عن المتهم، وصحيح أن المدعى العام مكلف ابتداء بالدفاع عن الحق العام. ولكن من قال بأن هذه الصيغة مسألة أبدية، أو أمر مقدس، لا يمكن بحال تجاوزه حتى ولو اقتضى الحق والعدل نساعماً ذلك؟

لا يمكن أن يعين المحامي المدعى العام في جانب ما من المسألة.
يجيد بين يديه من الوثائق والوثائق والمستندات ما يؤكدها ويزيدها إضاءة، وأن يفعل المدعى العام شيء نفسه، إذا كان التصرُّف في كلتا الحالتين سبباً للموصول إلى الحقيقة سواء كانت لصالح المتهم أم لصالح الحق العام؟

قد يقول قائل إن مهمة المحامي تكمن أساساً في انقاذ المتهم من التهمة التي رمي بها حتى وإن كان قد اقترفها فعلًا، وفي اخفاء كل الأدلة التي تدينه، والتفنّن في تزيفها، وتحويلها إذا اقتضى الأمر إلى أدلة نفي. وبالمقابل يجد المدعى العام نفسه مسؤولاً برد الفعل، للفعل الخاطئ نفسه، إلى التثبت بموقفه، والسعي بكل الأساليب للإيقاع بالمتهم حتى ولو وقع في يديه من الأدلة وال نطاقات ما ينفي عن المتهم التهمة التي الصفت به أو يشكك بها على الأقل. وهو - أي المدعى العام - يمس في طبقة ما من وعيه أنه يجاب المحامي وحججه ويسعى للتفوق عليه، وإلا فهي الهزيمة التي لا تشربه بحال.

والجواب هو أن المعصلة تكمن في الصيغة الإجرائية الخاطئة، في أساس هذه الصيغة القائمة منذ عهد بعيد، في النزعة المنفعة المشرفة التي تدفع بالمحامي - أحياناً - إلى تنفيذ مهنته دون نظر إلى الوضع الإخلاقي، ودون أكتراث للحقيقة النهائية.

وهكذا نجد كيف تكون الممارسة القضائية في الإسلام، برؤيتها الإيمانية برونتها واخلاقيتها وانتفاحتها، والتزامها بالقيم الخلقية، وتلهفها على الحقيقة، وزبيدها الإجرائية غير المقنعة. نجد كيف تكون هذه الممارسة البديل الصحيح، المقنع، هذه الخططية التي تمارس في أروقة العدالة منذ زمن بعيد.

١٥٥
ونجد كيف أن فكرة (المحاماة) بصفتها أحادية الجانب هذه، هي مشابهة تقليد قدم اليابان من أوروبا المنفعة، وإننا لسن ملزمين البيت بالأخذ به لأنه، في بعض أشكاله، قد يخالف قيمنا وقناوانا وممارستنا بل قد يزعم بها.

وكلنا يذكر - على سبيل المثال - ما كان يفعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغيره من رجالات الإسلام على مدار التاريخ، مستعينين للتراجع عن قراراتهم النهائية في كل خطة إذا تبين لهم وجه جديد من القضية قد يعنيهم على التوصل إلى الحق.

إنها المرونة التي تتجاوز التشنج على الأحكام الأخيرة والتشبث بالإجراءات الخاطئة من أجل شيء أكبر بكثير وأهم بكثير... إلا وهو الحقيقة...

ويمكن للإنسان أن يتشنج بأي تقليد ويتشنج عليه - إذا اقتضى الأمر - إلا أن يأتي ذلك على حساب الحق والعدل... تلك الأهداف العزيزة التي تتعشقها الكل ويزود عنها الجمع...
الإيمان .. تلك المئارة المضيئة

يسطر التشاؤم .. احياناً .. على حشد ليس بالقليل من المؤمنين ،
وهم ينظرون إلى مستويات العصر الراهن ومعادلاته تتحرك باتجاه
مضاد للإيمان ، بدأاً من صيف الدمار والتحليل الخلفي ، وانتهاء
بالنظريات والمذاهب والعقائد التي ترفض الإيمان ، وتلقيه من
الحساب ، تستندها في ذلك المؤسسات والنظم والحكومات ..

وهم يقولون أن ضغوط التيار المضادة للإيمان هائلة حقاً ،
ساحقة بمعنى الكلمة ، وهي تسعى باصرار وحماس إلى جر المؤمنين
كافة إلى هاوية التفكك والتحليل والإعدام ..

ولكن هؤلاء ينسون أن الإيمان يمتلك من نقاط الجذب والقوة ،
وعناصر التحصين والصمود ، والقدرة على التأثير والكسب ، ما
يجعله .. بحق .. يقدر على مواجهة تلك الضغوط المضادة ، يوازيها
احياناً ..، ويتوقف عليها احياناً أخرى ويمضي .. من ثم الى هدفه ، غير
مكتثر بكل عوامل الإعاقة التي تضعها في طريقه مستويات العصر
وفلسفاته ونظمه ومؤسساته وسلطاته ، جاذبةً إليه باستمرار ، العناصر
الشابة، منحناً إياهًا الثقة والتوازن واليقين الذي ما حصلت عليه عشر معاشره وهي تتباطئ هناك.. وحقيقة «الآخرة» وما يرتبط بها من «بعث» و«حساب» ثم عقاب وثواب هي واحدة من أشد نقاط القوة والتأثير والجذب في بنية الإنسان.

وأو نلقاب تأثير محسوب لصالح الإنسان.. تقابل بين الخلد وبين دنئ فانية، زائدة تؤكد الأيام تفاهاها، وانحسارها، وعدم قدرتها على منح السعادة الحقيقية الكاملة للإنسان. تقابل بين النعيم والجحيم.. بين الجنة والنار.. بين رضا الله سبحانه وتعالى وبين سخطه وعقابه...

وبpas الذي يملك ذرة من ذكاء يريد نفسه إزاء هذا التقابل بين الأبدي والفاني، والامتداد والانقطاع، والثور والظلمة، والله والطاغوت، مندفعًا للاختيار الواقع الأول الذي يتحقق من خلاله بما لا يمنح إياه الموقع الثاني المترعرع بالمليذات العابرة الرخيفة، المنصرمة والتي لا تختلف وراءها سوى التعاسة والمرارات.

وليس هذا من قبيل الكلام الذي يقال لكي تتعرى به النفس المتيمامة، ولكنها التجربة المتحقة والواقع المشهود في كل زمان ومكان، بل في عصرنا هذا الذي يتميز بحصاره القاسي لواقع الإنسان، ومطاراته العنيفة الشروة للمؤمنين.

فبفترة عابرة إلى الجوامع والمساجد، عبر واحدة من الصلوات الخمس، يمكن للمرء أن يلتقى بحروش من هؤلاء الذين تتجاوزوا
 مواقعهم الدينية، رغم برجيتها وإغراقها، وأووا أخرى إلى حضارة الإيمان...
كيف، وماذا، وهم بعد في عرّ الشباب حيث يخيل للإنسان أن الدنيا لا تزال بعد تعد بالكثير، وأن التفكير بالآخرة لم يأت أوأتي بعد؟
والجواب يكمن في سهولة ووضوح يصلان حد التألق، فيها يملك الإيمان مواجهة تحليل العصر وضياعه، وفيها يقدر على تقديرها في دنيا أخذت تقدم هي الأخرى الكبيرة، بعد أن امتلتها الحضارة المعاصرة 
بألف رفرفة وفرصة لتقديم هذا الكثير.
والحق أن الإيمان يثبت يوما بعد يوم أنه لا يقل قدرة عن العطاء
إن لم يفقو ما تقدمه الدنيا، وكل الذين يردون بها لوقف حركة الإيمان في العالم.
إن زمننا الحديث، رغم فرصة ومعتة وملذاته، ورغم الأرادية والديكورات المثيرة التي يتقدم بها للإنسان كي يضلّه ويغوته، فإنه يسلط في الوقت نفسه من الضغوط التي تتميز بالعنف والفسوقة ما يستل من الإنسان كل فرص السعادة ويسوقة إلى التمزق والدمار.
ويجلي الإيمان للذي بعد الخيار والضائعين بسترداد توحدهم المفقود، ولكي يقدم لهم - فيها يقدمه - التوازن والأمل والاطمئنان واليقين...
يجلي لكي يفرمل اندفاعهم المجنون فلا يهتفون كالذباب على

169
كل ذي لزوجة وموتون هناك متهمين، ضائعين... لكي يقول لهم هذا حلال وهذا حرام فيحفظ طاقاتهم، ويكرمهم عن اللهات الأمى وراء الملذات...

يجيء لكي يقدروه ثانية إلى حمى الله... إلى امته وحبته وخشية ورضاه، فيمنحهم الفرح الحقيقي ثانية إلى حمى الله... فيمنحهم الفرح الحقيقي والسعة التي تعمل عليه السعادات.

وإنها - بحق - نقاط جذب مشعة لا يمكن لقوة في الأرض أن تطفئ نورها المتألق، أو تعتم على جرها المتوقف.

ومواجهة ألف من ضغوط العصور الحديثة، بمواجهة كل عوامل الأرتاد، والتحلل، والانحدار، يقف الإسلامي متأثرًا مقزماً وسط ظلمة العالم لكي يدل الحوار والتفاهم على الطريق.

ولحسن الحظ فإن غريزة حياة الذات، وتفتح المستقبل البعيد، لا تزال، وستظل، تعمل عملها في سلوك الإنسان.

وهي التي تقول له إنك إذا ارتدت الأبد تضيع إلى الأبد، فعليك بالمغارة التي على هدي ضوئها المتألق تتجو من الهلاك!
الوقوف متحدين مع الله

فرق كبير بين الوقوف متحدين مع الله وبين الوقوف في تحذٌ معه جلَّ جلاله؟

الأديان السماوية جاءت لكي تضع الإنسان والبشرية في الحالة الأولى والمذاهب الوضعية، في اغلبها، استهدفت وضعهما في الحالة الثانية.

والحالة الأولى تعني بوضوح ربط أسباب الإنسان الفاني بالخلود، ومدى رؤيته لكي تكون بالملد الذي يليق به كان ومنحته القدرة المتفوقة المستمرة من إرادة الله، ووضعها في حالة وفاق مع سن العالم ونوايس الكون والوجود، ولم شتات نفسه وتمكّنه من التحقق بالوحدة والإنسجام، واستئصال بذور السلبية واليأس من أعمقه ودفعه إلى ساحة العالم مطمئناً، متفائلًا، فاعلاً وسعيداً.

والحالة الثانية تعني - بوضوح كذلك - تقطع الأسباب بين الإنسان وبين السماوات وتضيق الخناق على رؤيته إلى الملي الذي يليه إلى ما يشبه الحشرات التي لا تعرف غير تطهين حاجاتها الغذائية، وتتميم مساكنها كي لا يقتلها البرد والجوع...

161
فَهَا هِيَ الْأَقْصَارُ الَّتِي تَتَحِبُّ الْعِفْنَ وَالْفُكَكَ وَالْفَسَادِ الَّذِي يَنْحِزُ فِي الْدَاخِلِ وَتَغْتِي عَلَى الْقَلْبِ وَالْخَوْفِ وَالْتَمْرِقِ وَالْيَلَاسِ الَّذِي يُحْكَمُ قَبْضَتهُ عَلَى خَتَانِ الإِنسَانِ الَّذِي لَا يَقُدُّرُ عَلَى تَجاوْزِ الْكَفْرِ صَوبِ الإِيمَانِ.

وَهُؤُلَاءِ «الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا وَيَعِيدُونَ فِي الْقُولِ دَرَاسَاتٍ وَابْحَاثٍ وَكِتَابٍ وَتَقْارِيرٍ وَمَنَاقِشَتٍ وَنُودُوَاتٍ وَخَطْبٍ» وَهُمْ لَيْسُوا بِالنَّاسِ الْمُعْدِينِ وَلَكِنْهُمْ زِيَادَةُ الْجَمِيْهِ وَتَلَفْيَتٍ عَقْلِيّةً وَمِنْ ثُمَّ شَهَادَاتِهِمْ تَحْمَلُ قِيْمَتِها ابْتِدَاءً.

لَيْسَ هَٰذَا بِطَبِیَّةِ الْحَالِ بِمَشْعِرِ هَذِهِ الْشَّهَادَاتِ، عِلَيْنَا نُشِّرُ إِلَيْهَا مَعْرِضٌ إِشْرَاةً لِلْتَدْلِيلِ عَلِىْ صَدِقِ الْمَقْوِلَةِ الَّتِي تَصَدَّرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ.

إِنْ ثَمَّةَ خَسَارَةٌ كِبَّرَةٌ تَلْحِقُ بِالإِنْسَانِ عِنْدَا مَّنْ يَخْتَارُ انْيَكْتَارَ انْيَكْتَارِهِ إِنْ يَكُونُ فِي وَضْعٍ المُتَحْذِثِي اللَّهِ سَبِحَانَهُ. طَبَعًا فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالَهْ لَنْ يَضِيْرُهُ أَنْ يَقْفُ
البشرية كلها متحدة إياه، ولن يزيد في ملكه أن تقف البشرية كلها
متحدة معه!!

والحديث القدسي الشريف واضح الدلالة في هذا المجال ( ...). يا
عبادي إنكم لن تبلغوا خيري فتغروبوا ولن تبلغوا نفعي فتنتفونى,
يا عبادي لو إن أولكم وأخركم وانسكم وجنكم كانوا على أنجر قلب
رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم
وأخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطتى كل
إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كا ينقص المختبر إذا دخل
في البحر، يا عبادي إنا هي اعمالكم احصيها لكم ثم أوفيكم
إياها .. !!).

ولكن الربح والخسارة إذا جاز لنا أن نستخدم مصطلحات التجارة
ستلحق بالإنسان نفسه.

ومن أجل إلا يضيع الإنسان وينحسر نفسه، بل من أجل الا
خش دنياه قبل آخرته، جاءت الأديان لكي تدلّه على الحقيقة وتقوده
عبر الطريق الطويل. وكان الهدف النهائي لهذه الأديان جمعاً
mتحصلتها الأخيرة أن تقهر الإنسان من قبضته الأرباب والكهنوة
والطوارق الذين يسعون من خلال وضعه في حالة تجمع مع الله إلى
استعباده، ومن ثم تدميره كي يغدو أداة طيعة في أيديهم، ووسيلة
مجرد وسيلة، لتطمّن مصالحهم وتواعدهم.

جاءت الأديان لكي تغرره، وتعيدنا إلى الوضع الصحيح العادل

المنبتق عن طبيعة وجوده في الأرض ومهمته في العالم، الوقوف متحدًا مع الله، مع تعاليمه، مع سنته في العالم، مع نواميسه في الكون والوجود.

وحينذاك يتحقق الإنسان بالتوازن المتشدد مع الخُلُق والوجودات، وفي ذلك يتحقق بالتوازن المرتبط مع ذاته، ومع غيره من بني آدم على مدار الأزمنة وتغير الأماكن...

وحينذاك يكون مقدور الإنسان ليس أن يحيا سعيدًا فحسب، وليس أن يفعل المعجزات فحسب، بل إن يضمن الآخرة وهو الهدف الأساسي لأنها الحقيقة المطلقة التي تعلو على نسبات الأرض ومتغيراتها ...

طريق واحد مستقيم هو الصراط. وانسان موحد، مطمئن سعيد، مترع انسجامًا وتفاؤلاً وقدرة على الإبداع والعطاء...

وتوازن فذ بين بني آدم وبين ما يحيط بهم ويعيشهم من خلائق وسنن وموجودات ...

والهدف واحد هو الله ...

ذلك أيضًا، يعني أن نقف في حُضْرِ هُوَ سُبُحَانِهِ ...

إنه جلّ قدرته يستطيع بكلمة (كن) أن يقلع الموقف الخاطيء، لأنه الخالق ونحن الخلقون، وهو المالك ونحن المخلكون، وهو قادر ونحن الضعفاء العاجزون.

164
لكنه سبحانه شاء أن يمنح الإنسان حرية التي تليق به وأن يعلمه الطريق ثم يتركه لكي يختار بنفسه.

ترى هل قدر الإنسان على اجتياز الامتحان بنجاح!
سالم بعث في ليلة الحادي عشر من سبتمبر يُزورها نجوم النجمة. مع ذلك،
لم يستطع القهوة في طبقة جافة، تابعه رضي الأطراف.
أزيلت بعض الشموع عليه إلا أن النسا، مثل هذه، رحبت.
كتب للمؤلف

ط- بحوث تاريخية

1- ملحم الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز - الطبعة التاسعة - مؤسسة الرسالة - بيروت.
2- عماد الدين زنكي - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة.
3- دراسة في السيرة - الطبعة العاشرة - مؤسسة الرسالة - دار النفائس.
4- الخصائص القصي.. ملحم ماساتاني في أفريقيا - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة.
5- التفسير الإسلامي للتاريخ - الطبعة السادسة - دار العلم للملايين - بيروت.
6- نور الدين محمود; الرجل والتجربة - الطبعة الأولى - دار القلم - دمشق.
7- الإمارات téléphone في الجزيرة والشام .. أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتر - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.
8- في التاريخ الإسلامي؛ فصول فيمنهج والتحليل - الطبعة الأولى - المكتبة الإسلامية - بيروت.
9- المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي .. عصر ولاة السلاجقة في الموصل.

127
الطبعة الأولى - مكتبة المعارف - الرياض.

1. ابن خلدون إسلاميا - الطبعة الثانية - المكتب الإسلامي.

2. دراسات تاريخية - الطبعة الأولى - المكتب الإسلامي.

3. حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي - الطبعة الأولى - دار الثقافة - الدوحة.

4. تحليل للتاريخ الإسلامي - إطار عام - قيد النشر - دار الثقافة - الدوحة.

5. المستشرقون والسيرة النبوية - بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر - مونتغمري وات - قيد النشر.

د - بحوث إسلامية

1. لعبة اليمين واليسار - الطبعة الخامسة - مؤسسة الرسالة.

2. تهافت العلمانية - الطبعة السابعة - مؤسسة الرسالة.

3. مقال في العدل الاجتماعي - الطبعة الثالثة - مؤسسة الرسالة.

4. مع القرآن في عالمه الرحيق - الطبعة الثالثة - دار العلم للمللالملاين.

5. آفاق قرآنية الطبعة الثانية - دار العلم للمللالملاين.

6. كتابات على بوابة القرن الخامس عشر بالإشراك - الطبعة الأولى - دار العلم - الرياض.

7. مبادئ إسلامية - الطبعة الأولى - مكتبة الحرمين - الرياض.

8. مدخل إلى موقف القرآن من العلم الحديث - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.

9. العلم في مواجهة المادية - قراءة في كتاب حدود العلم - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.

10. مؤشرات إسلامية في زمن السرعة - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.

168
11 - حول إعادة تشكيك العقل المسلم - الطبعة الثالثة - مجلة الأمية - الدوحة.
12 - الرؤية الإسلامية - دار الثقافة قطر.
13 - حوارات في المعمار الكوني وقضايا إسلامية معاصرة - الطبعة الأولى - دار الثقافة - الدوحة.
14 - أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة.

ج - أعمال أدبية

1 - المسرحيون «مسرحية ذات أربعة فصول» - نافذ - دار الإرشاد - بيروت.
2 - في النقد الإسلامي المعاصر - نقد - الطبعة الثالثة - مؤسسة الرسالة.
3 - فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر - نقد - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.
4 - الطبعة في الفن الغربي والإسلامي - نقد - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة.
5 - جداول الحب واللياجين "شعر" - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.
6 - رحلة في المصير "شعر" - الطبعة الأولى - مؤسسة السالة.
7 - معجزة في الظاهرة الغربية "مسرحيات ذات فصل واحد" - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.
8 - خمس مسرحيات إسلامية "ذات فصل واحد" - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.
9 - محاولات جديدة في النقد الإسلامي - نقد - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.

169
10- الشمس والدنس "مسرحية ذات أربعة فصول" - الطبعة الثانية - دار الاعتماد - القاهرة.
11- الأدب في مواجهة المادة "دراسة" - نقيان النصر.
12- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي "دراسة" - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.
13- العصر وال민ذنة "رواية" - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.
14- المغول "مسرحية" - الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة.
الفهرس

<table>
<thead>
<tr>
<th>رقم</th>
<th>عنوان</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>5</td>
<td>مقدمة الناشر</td>
</tr>
<tr>
<td>9</td>
<td>الحضارة فعل لا نقل</td>
</tr>
<tr>
<td>15</td>
<td>معاوَل أُخرى في جدار الالحاد</td>
</tr>
<tr>
<td>19</td>
<td>المهم أن يكون عدواً للإسلام</td>
</tr>
<tr>
<td>23</td>
<td>بروتوكولات صهيونية .. مرة أخرى</td>
</tr>
<tr>
<td>27</td>
<td>الظاهرة الأبدية</td>
</tr>
<tr>
<td>31</td>
<td>مغزى إسلام غارودي</td>
</tr>
<tr>
<td>35</td>
<td>حين تغدو الفيزياء تلاوة وذكرا</td>
</tr>
<tr>
<td>39</td>
<td>الشاهد المتألق</td>
</tr>
<tr>
<td>43</td>
<td>تلك الطاقة المهدورة</td>
</tr>
<tr>
<td>49</td>
<td>الزكاة .. تلك الضرية العجيبة</td>
</tr>
<tr>
<td>53</td>
<td>ثغرات في رداء المادة</td>
</tr>
<tr>
<td>57</td>
<td>تأثيرات السلوك</td>
</tr>
<tr>
<td>61</td>
<td>الإيمان والمؤسسة .. سيكون سعيداً</td>
</tr>
<tr>
<td>67</td>
<td>المتفوِقون من الجنة</td>
</tr>
<tr>
<td>71</td>
<td>لنحاول أن نجرب ..</td>
</tr>
<tr>
<td>77</td>
<td>دراما الحياة ..</td>
</tr>
</tbody>
</table>

171
الصلاة المندوبة
التكتيك على الدين
رؤية تربوية متكاملة
شيوعي أبيض ... شيوعي أسود
ظاهرة تدعو للتفاؤل
العدل وخطوط الدفاع الأربعة
الإنسان موقف
الوسطية والرفاق
ما يقرأ ... وما يرمى به عرض الحائط
الثابت والمتحول في الإسلام
الإنسان أولاً
البذرة والبستان الأخضر
الاصطراط مع المرأة
البحث عن الخلفية
قبل للمصلين
وجهة نظر
الإيمان ... تلك المنارة المضيئة
الوقوف متحدين مع الله
كتاب للمؤلف

172